الفصل الثامن

طبقات العرب

اتفق الرواة وأهل الأخبار ، أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث القدم الى طبقات : عرب بائدة،وعرب عاربة ، وعرب مستعربة . أو عرب عاربة ، وعرب متعربة ، وعرب مستعربة. أو عرب عاربة وعرباء وهم الخلص، والمتعربة. واتفقوا أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث النسب الى قسمين: قحطانية ، منازلهم الأولى في اليمن . وعدنانية ، منازلهم الأولى في الحجاز[1] .

واتفقوا ، أو كادوا يتفقون على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله ، وعلى هذا النحو من العربية التي نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة . فهم الأصل ، والعدنانية الفرع ، منهم أخذوا العربية ، وبلسانهم تكلم أبناء إسماعيل بعد هجرتهم الى الحجاز ، شرح الله صدر جدهم إسماعيل ، فتكلم بالعربية ، بعد أن كان يتكلم بلغة أبيه التي كانت الإرمية ، أو الكلدانية ، أو العبرانية على بعض الأقوال[2] .

وتجد الأخباريين والمؤرخين يقسمون العرب أحياناً إلى طبقتين : عرب عاربة، وعرب مستعربة . ويدخلون في العرب العاربة عاداً وعبيل ابني (عوص بن إرم) ،

---

١ ابن خلدون (١٦/٢) « طبعة بولاق » ، الهلال : الجزء العشرون ، السنة الخامسة حزيران ، ١٨٩٧ (ص ٧٦٨ فما بعدها) ، تاج العروس (٣٣٣/٣) ، « الكويت»

٢ مرج الذهب (٢٦٢/١) ، نهاية الارب ، للنويري (٢٩٢/٢)

وثمود وجديس ابني (جاثر بن إرم) ، وعمليق وطسم وأميم بني (لوذان بن إرم) ، و (بني يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام) ، وهم : جرهم ،وحضرموت ، والسلف ، وجاسم بن عمان بن سبأ بن يقشان بن ابراهيم[1]. أما (الهمداني) ، فقد عدّ كل القبائل التي أولها (جاسم) وآخرها (عَبس الأولى) من العرب العاربة[2] . والقبائل المذكورة هي (جاسم) الذين نزلوا بعمان والبحرين ، وبنو هيف ، وسعد ، وهزان الأولى ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق، وبنو بديل ، وراجل ، وغفار ، وتيماء ، وبنو أثابر ، وبنو عبد ضخم[3] .

وظل الرواة يتوارثون هذا التقسيم كلما بحثوا في تأريخ العرب قبل الإسلام ، وفي موضوع الأنساب . ولا حاجة بنا الى أن نعود ، فنقول : إن كل ما روي من هذا التقسيم وما رواه الرواة من أخبار تلك الطبقات ،لم يرد الينا من النصوص الجاهلية ، وإنما ورد الينا متواتراً من الكتب المدونة في الإسلام ، لذلك لا نستطيع أن نجرؤ فنقول : إن هذا التقسيم وضعه الجاهليون ، وتوارثوه كابراً عن كابر، حتى وصل إلى صدر الإسلام ، ثم منه وصل الينا .

وتقسيم العرب الى طبقات — وذلك من ناحية القدم والتقدم في العربية — هو تقسيم لا نجد له ذكراً لا في التوراة أو الموارد اليهودية الأخرى ولا في الموارد اليونانية أو اللاتينية ، أو السريانية . ويظهر أنه تقسيم عربي خالص ، نشأ من الجمع بين العرب الذين ذكر أنهم بادوا قبل الإسلام ،فلم تبق منهم غير ذكريات، وبين العرب الباقين ، وهم إما من عدنان ، وإما من قحطان .

وجماع العرب البائدة في عرف أكثر أهل الأخبار ، هم : عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وأميم ، وجاسم ، وعبيل ، وعبد ضخم ، وجرهم الأولى، والعمالقة ، وحضورا[4] . هؤلاء هم مادة العرب البائدة وخامها ،وهم أقدم طبقات العرب على الإطلاق في نظر أهل الأخبار .

---

١ المحبر (ص ٣٩٥) .
٢ الاكليل (١/٧٥) .
٣ الاكليل (٢/٧٢ فما بعدها) .
٤ الطبرى (١/١٠٣ فما بعدها) ، (١/٢٠٣ فما بعدها) ، طبعة « دار المعارف » ، وتجد اختلافا في الانساب ، التنبيه والاشراف (١٥٧) ، « طبعة الصاوى ، « العرب العاربة سبع قبائل » « وهم تسع قبائل » تاج العروس (٣/٣٣٣) ، « الكويت » ،

أما عاد ، فإنهم من نسل (عاد بن عوص بن إرم) . وأما ثمود فمن نسل (ثمود بن غاثر بن إرم) . وأما (طسم) ، فمن نسل (طسم بـن لاوذ) . وأما (جديس) ، فمن نسل (جديس بن غاثر بن إرم) ، في رواية أو من نسل (جديس بن لاوذ بن سام) على رواية أخرى[1] . وأما (أميم) ، فإنهم من نسل (أميم بن لاوذ بن سام)[2] . وأما (جاسم) ، فمن نسل (جاسم) ، وهو من العماليق أبناء (عمليق) ، فهم اذن من نسل (لاوذ بن سام) . وأما (عبيل) ، فإنهم من نسل (عبيل بن عوص بن إرم)[3]، وأما (عبد ضخم) ، فمن نسل (عبد ضخم) من نسل (لاوذ) ، وقد جعلوا من صُلْب (أبناء إرم) في رواية أخرى . وأما (جرهم الأولى) ، فمن نسل (عابر) ، وهم غير جرهم الثانيـــة ، الذين هم من القحطانيين[4] . وأما العمالقـــة ، فإنهم أبناء (عمليق بن لاوذ) ، وأما (حضورا) ، فإنهم كانوا بالرسّ ، وهلكوا .

نرى مما تقدم ان أهل الأخبار قد رجعوا نسب العرب البائدة إما الى (إرم) ، وإما الى (لاوذ) ، باستثناء (جرهم الأولى) الذين ألحق بعض النسابين نسبهم بـ (عابر) . وهذه الأسماء هي أسماء توراتية ، وردت في التوراة ، وأخذها أهل الأخبار من منابع ترجع الى أهل الكتـــاب ، وربطوا بينها وبين القبائـــل المذكورة ، وكونوا منها الطبقة الأولى من طبقات العرب .

و (إرم) ، هو شقيق (لاوذ) في التوراة ، وأبوهما هو (سام بن نوح) ، وقـــد ترك (سام) هـــذا من الأولاد (آشور) Asshur و (أرفكشاد) و (لود) و (إرم) و (عيلام) . كما ورد في التوراة[5]. وقد أجرى أصحاب الأخبار بعض التحوير والتغيير في هذه الأسماء ، بأن صيّروا (آشور) (أشوذ) و (انشور) و (أرفكشاد) (أرفخشذ) ، و (لود) (لاوذ) ،و (عيلام) (عويلم) . أما (إرم) ، فقد أبقوه ولم يغيروا في شكله[6] .

---

١ « وولد للاوذ بن سام : طسم وجديس » ، الطبـــري (٢٠٤/١ ، ٢٠٦) ، « دار المعارف » .

٢ الطبرى (٢٠٣/١) ، « دار المعارف » .

٣ الطبرى (٢٠٣/١ وما بعدها) ، « عوض » ، الكامل (٣١/١) ، مروج (٢٤/١) .

٤ ابن خلدون (٣٠٧/٢) ، صبح الاعشى (٣١٤/١) .

٥ « آشور » « اشور » Asshur ارفكشاد ، ارفخشن ، Arpachshad لود ، Lud لوديم ، Ludim ارم Aram « عيلام » ، Elam

٦ الطبري (٢٠٣/١) ، « دار المعارف » .

ولا نجد لـ (لود) أي (لاوذ) ولداً في التوراة . فأولاده المذكورون هم هدية من أهل الأخبار قدمت اليه . أما (إرم) ،وهو (آرام) في التوراة، فإن له من الأولاد (عوص) و (حول) و (ماش) و (كيثر)[1] . ولم تذكر التوراة ولداً لهؤلاء الأبناء الأربعة ، فالأولاد الذين ذكرهم أهل الأخبار ، على انهم ولد (عوص) و (كيثر) (غاثر) (كاثر) ،هم هبة من الأخباريين قدموها الى هذين الأخوين .

وأما (لود) الذي صار (لاوذ) ، عند أهل الأخبار ، فإن آراء الباحثين في التوراة مختلفة في المراد منه . وقد ظن بعضهم أنه جد (اللوديين) ، وذكر هؤلاء (اللوديين) مع (كوش) و (فوط) ، وبين (فارس) و (فوط). وأما (لود) أبوهم ، فإنه ابن (مصرايم) أي مصر[2] . ويحملنا هذا على التفكير في أنهم شعب من شعوب إفريقية . ولكن هذا الرأي يخالف ما جاء عن (لود) من انه ابن (سام) ،وانه شقيق لإخوته المذكورين الذين تقع أملاكهم في الهلال الخصيب ، ومقياساً على هذه المواضع يجب أن يكون ملكه في هذه الأرضين أيضاً . ومهما يكن من شيء ، فإن آراء العلماء متباينة في مواضع نسله، ولم ينوه أحد منهم أنها في جزيرة العرب[3] .

وأما عوص ، فإن آراء العلماء متباينة كذلك في المكان المنسوب اليه ، فذهب بعضهم الى أن أرض (عوص) يجب أن تكون على تخوم (ايدوم)[4] أو تخوم العربية الشمالية ، وذهب بعض آخر الى أنها المناطق التي على نهر الفرات،وذهب بعضهم الى أنها في منطقة (حوران) وذهب بعض آخر الى أنها أرض (دمشق) و (اللجاة) (اللجـاء)[5] ، وذهب آخرون الى أنها في الحجاز أو في نجد[6] . ورأى بعض أهل الأخبار أن منزل (عوص) هو (الأحقاف)[7] .

---

١ « عوص » Uz « حول » Hul ماش Mash كيثـر ـ كاثر ـ جاثر ـ غاثر ـ Gether التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٣ .

٢ « مصرايـم » ، Mizraim

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٩٩/٢) ، Hastings, P., 557.

٤ « ايـدوم » ، (Edom) (Idumaea)

٥ Trachonitis

٦ قاموس الكتاب المقدس (١٢٦/٢) ، Hastings, P., 956.

٧ الطبرى (٢٠٦/١) ، « دار المعارف » .

وأرض (عوص) هي موطن (أيوب) الشهير صاحب السفر المعروف باسمه ، والذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، وضرب به المثل في الصبر .

وأكاثر (جاثر) (Gether) ، فلا يعلم من أمره شيء[1] ، ويجب أن تكون مواطن (الكاثريين) في الهلال الخصيب ، أو في بادية الشام ، أو في التخوم الشمالية لجزيرة العرب ، وذلك نظراً لوروده مع (عوص) و (ماش) .

وقد جعل أهل الأخبار (النبط) من نسل (نبيط بن ماش) ، وجعلوا أهل الجزيرة والعال من ولد (ماش) كذلك[2] . أما النبط في التوراة ، فانهم (نبيوت)[3] نسبة الى الابن الأكبر لأبناء (اسماعيل) المسمى بـ (نابت) عند أهل الأخبار[4] وليس لـ (ماش) علاقة به وبالنبط . وأما (ماش) ، فانه كناية عن موضع سكنه جماعة عرفوا بهذا الاسم ، لعله (بادية ماش) (صحراء ماش) المذكورة في الكتابات الآشورية ، وهي في البادية الكبيرة المسماة (بادية الشام)[5] .

العرب البائدة :

ونحن جرياً مع عادة أهل الأخبار في تقسيم العرب الى الطبقات الثلاث المذكورة، نبدأ بذكر الطبقة الأولى من طبقات العرب ، وهي طبقة العرب البائدة .

وقد شك كثير من المستشرقين في حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلفة لهذه الطبقة ، فعدّها بعضهم من الأقوام الخُرافية التي ابتدعتها مخيلة الرواة، وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها في اللغات القديمة أو في الكتب الكلاسيكية ، وقد اتضح الآن أن في هذه الأحكام شيئاً من التسرع، إذ تمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه الأقوام ، ومن الحصول على بعض

---

١ Hastings, P., 292.

٢ الطبري (١/٢٠٧) .

٣ « نبيوت » ، Nebaioth

٤ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرين ، الآية ١٣ ، اخبار الايام الاول ، الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٢٩ ، Hastings, P., 648.

٥ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٣ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الاية ١٧ ، Hastings, P., 590.

المعلومات عنها ، ومن حلّ رموز بعض كتاباتهم مثل الكتابات الثمودية . وقد اتضح أن بعض هذه الأقوام أو أكثرها قد عاشوا بعد المسيح ولم يكونوا ممعنين في القدم على نحو ما تصور الرواة . ولعلّ هذا كان السبب في رسوخ أسمائهم في مخيلة الأخباريين .

وأبدأ الآن بالتحدث عن (عاد) :

عـاد : وإذا جارينا الأخباريين ، وسرنا على طريقتهم في ترتيب الشعوب العربية ، وجب علينا تقديم طسم وعمليق وأميم وأمثالهم على عاد وثمود ؛ لأنهم من أبناء (لاوذ بن سام) شقيق (إرم) ، وعاد وثمود من حفَدة (إرم بن سام) . ولكن الأخباريين يقدمون عاداً على غيرهم ، ويبدأون بهم ،وهم عندهم أقدم هذه الأقوام ، ويضربون بهم المثل في القـدم[1] . ومثلهم في ذلك مثـل أخباريي العبرانيين الذين عدّوا العالقة أول الشعوب[2] . ولعل هذه النظرية تكونت عند الجاهليين من قدم عاد ، أو من ورود اسم عاد في القرآن الكريم في سورة الفجر[3] ثم مجيء اسم (ثمود) بعد ذلك . ولهذا صاروا إذا ذكروا (عاداً) ذكروا (ثموداً) بعدها في الترتيب . فلورودهما في القرآن الكريم قدما على بقية الأقوام .

وقد أورد (الطبري) ملاحظة مهمة عن قوم (عاد) وعن رأي أهل الكتاب فيهم ،إذ قال : « فأما أهل التوراة ، فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا ثمود ولا لهـود وصالح في التوراة ، وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية ، والإسلام كشهرة ابراهيم وقومه[4] » . ويظهر من ذلك أن المسلمين حينما راجعوا اليهود يسألونهم علمهم عن عاد وأمثالهم ، أخبروهم بعدم وجـود ذكرهم في التوراة . والواقع أن التوراة لا علم لها فيهم . فأحاديث عاد وثمود وهود وصالح إنما هي أحاديث عربية ، تحدث بها الجاهليون ، وليس لها ذكر في كتب يهود، ولكن أهل الأخبار ربطوا مع ذلك بينها وبين التوراة ، وأوجدوا لها صلة ونسباً

---

١ ومنهم من رأى انهم ابناء « ارم » اللسان (٢٨٠/١٤)

٢ التكوين ، الاصحاح الرابع والعشرون، آية ٢٠ ، قاموس الكتاب المقدس (١١٣/٢) Hastings, P., 24.

٣ سورة الفجر ، رقم ٨٩ ، الآية ٦ فما بعدها .

٤ الطبري (٢٣٢/١) .

بأسماء أعيان وردت في التوراة . ولكن عملهم هذا لا يخفى بالطبع على من له وقوف على التوراة .

وأكثر هذه الأقوام أقوام متأخرة عاشت بعد الانتهاء من تدوين التوراة ، عاشت بعد الميلاد في الغالب ، ولعل منها من عاش الى عهد غير بعيد عن الإسلام . ثم إن التوراة والكتب اليهودية الأخرى لم تهتم إلا بالشؤون التي لها علاقه بالعبرانيين ، وهي ليست كتباً في التواريخ العامة للعالم حتى تكتب عنهم وعن أمثالهم من قبائل . أما بقاء أخبار قوم عاد ومن كان على شاكلتهم من العرب البائدة في ذاكرة أهل الأخبار ، فلأنهم عاشوا بعد الميلاد ، وفي عهد غير بعيد عن الإسلام ، ومع ذلك،فقد أخذت أخبارهم طابع القصص والأساطير.

وقد ذهب بعض أهل الأخبار الى أن عاداً هي (هدورام) في التوراة[1] . ودليلهم على ذلك اقتران عاد بإرم في الكتب العربية ، وبعض القراءات التي قرأت (بعاد إرم) في الآية : « ألم ترَ كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد »[2] على الإضافة ، أو مفتوحتين ، أو بسكون الراء على التخفيف ، أو بإضافة إرم الى ذات العماد . وبين (عاد إرم) و (هدورام) تشابه كبير في النطق[3] .

ولكن التوراة تشير الى أن (هدورام) من نسل (يقطان) ، أي قحطان في الكتب العربية ، وهذا لا يستقيم مع الروايات . ويرد (جرجي زيدان) على هذا الاعتراض بقوله : « ولعل كاتب سفر الخليقة رأى مقر تلك القبيلة في بلاد اليمن ، فقال انها من نسل قحطان ، لأن مقام عاد في الأحقاف بين حضرموت واليمن . وكثيراً ما التبس علماء التوراة في هدورام أو هادرام ومقر نسله ، ولم يهتدوا الى شيء عنه ، مع انهم اهتدوا الى أماكن أكثر أبناء قحطان ، وكلها بجوار الأحقاف ، فعاد هي (هدورام) في التوراة . وإما أن يكون كاتب سفر الخليقة أراد بيان القبائل التي سكنت اليمن ، وكلها ينسب الى قحطان ، فرأى عاد إرم في جملتها ، فجعله من أولاد قحطان وبعبارة أخرى : من القبائل

---

١ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٧ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٢١ ، الاكليل (١٦٢/٨) .

٢ سورة الفجر ، الاية ٦ فما بعدها .

٣ الهلال : الجزء الثالث والعشرون ، السنة السادسة ، آب ١٨٩ م (ص ٨٩٠)

المتفرعة عن قبيلة قحطان . وإما أن يكون بالحقيقة من نسل قحطان،وهم العرب في نسبته الى آرام »[1] .

ورأى (فورستر) وجود صلة بين (عادة) ، وهو اسم زوجة (لامك) ، وبين (عاد) ، وهي والدة (يابال) الذي كان أباً لسكان الخيام ورعاة المواشي[2] ، ونسلها من الأعراب . وقوم عاد من الأعراب كذلك . وذهب أيضاً الى أن هؤلاء هم Oaditae وهو اسم (قوم ذكرهم (بطليموس)[3]) على انهم كانوا يقيمون في الأرضين الشمالية الغربية من جزيرة العرب[4] ، ولعلهم كانوا يقيمون عند موضع (بئر إرم) ،وهي من الآبار القديمة في منطقة (حسمى) على مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم في ديلر جُذام بين أيلة وتيه بني اسرائيل[5] . ولا يبعد هذا الموضع عن أماكن ثمود الذين ارتبط اسمهم باسم عاد . وقد أيد هذا الرأي (شبرنكر) وجماعة من المستشرقين ، وهو أقرب الآراء الى الصواب .

وذهب الأخباريون الى وجود طبقتين لقوم عاد هما : عاد الأولى ، وعاد الثانية ، وكانت عاد الأولى ، في زعم أهل الأخبار ، من أعظم الأمم بطشاً وقوة ، وكانت مؤلفة من عدة بطون تزيد على الألف ، منهم : رفد،ورمل ، وصد،والعبود[6] . والظاهر أن فكرة وجود طبقتين لعاد قد نشأت عند الأخباريين من الآية : « وأنه أهلك عاداً الأولى ، وثمودَ فما أبقى »[7] ، فتصوروا وجود عاد ثانية ، قالوا انها ظهرت بعد هلاك عاد الأولى[8] .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن (عاداً الأولى) ، هو (عاد بن عاديا ابن سام بن نوح) ، الذين أهلكهم الله ، وأوردوا في ذلك بيت شعر ينسب

---

١ المصدر نفسه .
٢ التكوين ، الاصحاح الرابع ، الآية ٢٠ .
٣ Forster, Vol., 2, P., 32 ff.
٤ Forster, Vol., 2, P., 32, Enc., Vol., I, P., 121, Sprenger Geogra. S. 207.
٥ البلدان (١٩٦/١) ، صفة (ص ١٢٩)
Enc., Vol., I, P., 121, Sprenger, S., 207, Wensink und J H Kramers, Handworterbuch des Islam, Leiden, 1941, S. 13,
وسأرمز اليه بـ : Wensink
٦ الهلال : الجزء نفسه ، (ص ٨٩١) .
٧ سورة النجم ، سورة رقم ٥٣ ، الاية ٥٠ فما بعدها .
٨ ابن خلدون (٢٠/٢) .

الى (زهير)[1] . وأما عاد الأخيرة ، فهم (بنو تميم) وينزلون برمال عالج[2].

وذهب الطبري الى أن عاداً الأولى ، هم نسل بن عوص بن إرم بن سام ابن نوح[3] ، وأن عاداً الأخيرة هم رهط قيل بن عنز ، ولقيم بن هزّال ابن هزيل بن عُتَيل بن صد بن عاد الأكبر ، ومرشد بن سعد بن عفير ، وعمرو بن لقيم بن هزّال ، وعامر بن لقيم ، وعمرو بن لقيم بن هزّال ، وكانوا في أيام (بكر بن معاوية)[4] صاحب (الجرادتين) ، وهما قينتان له تغنّيان[5] . وقد هلكوا جميعاً الا (بني اللوذية) ، وهم (بنو لقيم بن هزّال ابن هزيل بن هزيلة ابنة بكر) ، وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم (آل بكر ابن معاوية) ، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الأخيرة ، ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد[6] .

وجعل بعض أهل الأخبار عدد قبائل عاد ثلاث عشرة قبيلة[7] ، ذكروا منها : (رفد) و (زمل) و (صد) و (العبود)[8] .

وجعلها (الهمداني) أحد عشر قبيلة وهي : العبود ، والخلود ، وهم رهط هود النبي المرسل ، وفيهم بيت عاد وشرفهم ، وهم بنو خالد . وقيل : بنو مخلد ، وبنو معبد ، ورفد ، وزمر وزمل ، وضد وضمود[9] ، وجاهد ، ومناف ، وسود ، وهوجد[10] .

وقد ذهب العلماء مذاهب في تفسير المراد من (إرم ذات العماد) في الآية : (ألم ترَ كيف فعل ربك بعادٍ ، إرَمَ ذات العماد)[11] فذهب بعضهم الى أن

---

١ « واهلك لقمان بن عاد وعاديا » ، ابن خلدون (٢٠/٢) ، اللسان (٣١٧/٤) .
٢ اللسان (٣١٧/٤) .
٣ الطبري (٢١٦/١) « طبعة دار المعارف » .
٤ الطبري (٢١٩/١) « دار المعارف » ، وورد «معاوية بن بكر » في رواية اخرى.
٥ الطبري (٢٢١/١ وما بعدها) .
٦ المصدر نفسه .
٧ المعارف (١٤) .
٨ أتأمرنا لنترك ال رفد وزمل وال صد والعبود
الطبري (٢٢١/١) « دار المعارف » .
٩ « ضد » و « ضمود » ، هكذا ضبط محقق الاكليل (٨٧/١) ، اللفظتين ، وقد ضبطتا بحرف « الصاد » « صد » و (صمود) ، أكثر المؤلفات الاخرى .
١٠ الاكليل (٨٧/١) .
١١ سورة الفجر ، سورة رقم ٨٩ ، الاية ٦ فما بعدها ، اللسان (٢٨٠/١٤) .

(إرم ذات العماد) مدينة في (تيه أبْيَنَ) بين عدن وحضرموت ، وذهب آخرون الى أنها دمشق[1] أو الإسكندرية[2] . والذي دعاهم الى هذا الرأي — على ما أرى — هو كثرة وجود المباني ذوات العماد في هاتين المدينتين وما عرف عنهما من القدم ، فوجد الأخباريون فيهما وصفاً ينطبق على وصف إرم ذات العماد[3] . وقد خلقت (باب جيرون) من أبواب دمشق قصة (جيرون بن سعد ابن عاد) الذي قالوا فيه إنه كان ملكاً من ملوكهم ، وإنه الذي اختط مدينة دمشق ، وجمع عمد الرخام والمرمر اليها ، وسماها (إرم)[4] .

وهناك مناسبة أخرى جعلت بعض العلماء يذهبون الى أن دمشق هي (إرم) أو (إرم ذات العماد) ، فقد كانت دمشق — كما هو معروف — من أهم مراكز الإرميين (الآراميين) ، وكانت عاصمة من عواصمهم . ولهذا السبب أيضاً قال نفر من الباحثين إن (إرم) تعني (أرام) ، وأن عاداً من (الآراميين) ، وأن (عاد إرم) انما تعني (عاد أرام) ، فالتبس الأمر على المؤرخين وظنوا أن ذات العماد صفة ، فزعموا أنها مدينة بناها عاد[5] . غير أنه قول لا يؤيده دليل يثبت أن (إرم) في هذا الموضع تعني (ارام)[6] . ومن الجائز أن تكون (إرم ذات العماد) هي التي أوحت الى النسابين فكرة جعل (عاد) من نسل (عوص بن ارم)،لتشابه اسم (ارام) و (ارم) عند العرب التي هي (آرآم) فأصبحت عاد من الإرميين .

---

١ الاكليل (٣٣/٨) ، « طبعة نبيه » ، صفة (٨٠) ، البكرى (١٤٠/١) ، « طبعة السقا » ، منتخبات (٢) سبائك الذهب ، للسويدي (١٥) .

٢ البلدان (١٩٧/١) ، منتخبات (٢) ، مروج (٤٢٠/٢ فما بعدها) ، « طبعة مينارد » ، Meynard

BOASOR, Number 73, February, 1939, p., 13, Koranic Iram, Legendary and Historical, by, Harold W. Glidden.

٣ « والعجم تذكر ان ارم ذات العماد بدمشق ، وان جيرون بن سعد بن عاد بنى مدينتها ، وسماها جيرون ذات العماد ، لكبر اعمدة حجارتها » ، الاكليل (٣٣/٨) « طبعة نبيه » .

٤ ابن خلدون (١٩/٢) ، المسعودي ، مروج (٤٢٠/٢) الاكليل (٣٣) « طبعة نبيه» BOASOR, Number 73, P., 13, (1939).

٥ « وكان يقال لعاد في دهرهم عاد ارم » ، الطبقات (١/١ ص ١٩) ، البكري ، معجم (٤٨/١) .

٦ Enc., Vol., I, P., 121.

ويرى بعض المستشرقين أن الذي حمل الأخباريين على القول إن (الإسكندرية) هي (ارم ذات العماد) ، هو أثر قصص الإسكندر في الأساطير العربية الجنوبية ذلك الأثر الذي نجده في كتب القصاص اليمانيين ، في مثـــل كتاب (التيجان) المنسوب الى وهب بن منبه ، وفي الرواية اليمانية . وقد حاول الإسكندر كما نعرف احتلال اليمن ، فغدا (شداد بن عاد) بانياً للإسكندرية ، وأصبح (الإسكندر) مكتشفاً لها[1] .

وقد فسر العلماء لفظة (إرمي) الواردة في بيت الحارث بن حلزة اليشكري :

إرَميّ بمثله جالت الجن فآبت لخصمها الأجلاء

بأنها نسبة الى (إرم عاد) في قدم ملكه ، وقيل في حلمه[2] .

ونسب بعض أهل الأخبار لـ (عاد) ولداً ، دعوه (شداداً) قالوا : إنه كان قوياً جباراً ، سمع بوصف الجنة ، فأراد بناء مدينة تفوقها حسناً وجمالاً ، فأرسل عماله ، وهم : (غـــانم بن علوان) ، و (الضحاك بن علوان) ، و (الوليد بن الريان) ، الى الآفاق ، ليجمعوا له جميع مـا في أرضهم من ذهب وفضة ودرّ وياقوت ، فابتنى بها مدينته ، مدينة (إرم) باليمن ، بين حضرموت وصنعاء ، ولكنه لم ينعم بها إذ كفر بالله ، ولم يصدق بنبوة (هود) ، فهلك . وتولى من بعده ابنه (شديد)[3] .

وزعم بعض النسابين أن نسب (شداد) هو على هـــذه الصورة : (شدّاد ابن عمليق بن عويج بن عامر بن إرم) ، فأبعدوه بذلك عن (عاد) . وقيل في نسبه غير ذلك[4] .

ويفهم من القرآن الكريم أن مساكن (عـــاد) بالأحقاف ، (واذكر أخا عاد ، إذ أنذر قومه بالأحقاف)[5] . والأحقاف : الرمل بين اليمن وعُمان الى

---

١ BOASOR, Number, 73, P., 13., (1939).

٢ المعاني الكبير (٨٢٦/٢) .

٣ وقيل أخوه ، البلدان (١٩٨/١) ، « يقول اليمانية واكثر العلماء في البلاد : ان ارم ذات العماد في تيه أبين ، وهو غائط بين حضرموت وبين أبين » ، الاكليـــل (٣٣/٨) .

٤ « عويج » ، البلدان (١٩٩/١) .

٥ سورة الاحقاف ، سورة رقم ٤٦ ، الآية ٢١ ، اللسان (٣٩٨/١٠)

حضرموت والشحر[1] . وديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان الى حضرموت الى اليمن . وقد اندفع أكثر الأخباريين يلتمسون مواضعهم في الصحارى ، لأنها أنسب المواضع التي تلائم مفهوم الأحقاف ، فوضعوا من أجل ذلك قصصاً كثيراً في البحث عن مواطن عاد وقبور عاد، ورووا في ذلك كثيراً من قصص المغامرات التي تشبه قصص مغامرات لصوص البحر[2] .

وفي بعض الأخبار : أن (عاداً) لحقت بالشحر ، فسكنت به،وعليه هلكوا بواد يقال له (مغيث) . فلحقتهم بعد (مهرة) بالشحر[3] . وقد سبق أن قلت: إن Oaditae الذين ذكرهم (بطلميوس) هم قوم (عاد) ، وانهم كانوا يسكنون في الأرضين الشمالية الغربية من جزيرة العرب في منطقة (حسمى) ، أي في أعالي الحجاز ، وعلى مقربة من مناطق ثمود . وهو أقرب الى الصواب، اذ اقترن ذكر عاد في القرآن بذكر (ثمود الذين جابوا الصخر بالواد)[4] . (حسمى) أقرب الى هذا الوصف من الرمال . ولم يعين القرآن موضع الأحقاف ، وانما عينه المفسرون ، ولا يحتم تفسيرهم تخصيص الأحقاف بهذا المكان ، حيث جعلوا رمال (وبار) في جملة المناطق التي كانت لعاد[5] .

وقد ذهب (موريتس) الى أن موضع (Aramaua) الذي ورد عند (بطلميوس) ، وهو (إرم) ، أو (إرم ذات العماد) . ويقال له الآن (رم)[6] . وقد أيد (موسل) رأى (موريتس) غير أنه لم يذهب الى ما ذهب اليه من أنه (إرم)[7] . وقد أظهرت الحفريات التي قام بها (المعهد الفرنسي) في القدس ، صحة هذا الرأي ، اذ ورد في الكتابات (النبطية) التي عثر عليها في خرائب معبد اكتشف في (رم) أن اسم الموضع هو (إرم)[8] . فيتضح من

---

١ ابن خلدون (١٩/٢) ، « والحقف وجمعه احقاف ،وهي الرمال .وكانت الاحقاف رملا قبل عمان الى حضرموت . قال : وكانت منازل عاد » ، المفضليات (١٥) « والاحقاف : رمال باعبانها في اسفل حضرموت » ، منتخبات (٢)

٢ المعارف (١٤) .

٣ الطبري (٢٠٨/١) « دار المعارف » .

٤ الفجر ، سورة رقم ٨٩ ، آية ٩ .

٥ ديوان الطرماح ، « طبعة كرنكو » ، (١٤٨) .

٦ B. Moritz, Ausfluege in der Arabia Petraea, in MFOB, III, S. 395.

٧ Musil, The Northern Hegaz, P. 273, BOASOR, Number, 73, P. 15 (1939).

٨ BOASOR, Number, 73, P. 15, (1939).

ذلك أن هذا الموضع حافظ على اسمه القديم، غير أنه صار يعرف أخيراً بـ (رم) بدلاً من (إرم) .

وفي سنة ١٩٣٢ قام (هورسفيلد) Horsfield من دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية بحفريات في موضع جبل (رم) ، ويقع على مسافة (٢٥) ميلاً الى الشرق من العقبة ، ويقع المكان الذي بحث فيه عند وادٍ ، وعلى مقربة منه (عين ماء) ، ووجد في جانب الجبل آثاراً جاهلية قديمة[١] . وقد حملت اكتشافاته هذه واكتشافات (سافينياك) Savignac واكتشافات (كليدن) H. W. Glidden على القول : إن هذا المكان هو موضع (إرم) الوارد ذكره في القرآن، والذي كان قد حل به الخراب قبل الإسلام ، فلم يبق منه عند ظهور الإسلام غير عين ماء كان ينزل عليها التجار وأصحاب القوافل الذين يمرون بطريق الشام — مصر — الحجاز[٢] .

وذكر (ياقوت الحموي) اسم مكان سمّاه (جش إرم) ، قال عنه : إنه اسم جبل عند (أجأ) أحد جبلَيْ طيء ، أملس الأعلى ، سهل ترعاه الإبل، وفي ذروته مساكن لعاد وإرم ، فيه صور منحوتة من الصخر[٣] . ففرق (ياقوت) هنا بين عاد وإرم ، وجعلهما قومين : قوم عاد وقوم إرم ، وقد تكون الواو بين الكلمتين زيادة من الناسخ، فيبطل حينئذ الاستدلال على تفريق ياقوت بينهما . وفي الكتب العربية أسماء محلات أخرى قديمة عثر فيها على نقوش وتماثيل، وصفت أنها من مساكن قوم عاد .

وبالإضافة الى المواضع التي أشير فيها الى (عاد) في القرآن الكريم[٤] ، فقد أشير اليهم في الشعر الجاهلي كذلك في شعر طرفة[٥] وفي شعر النابغة[٦] وفي شعر

---

١ BOASOR, Number 73, P 14, (1939), Revue Biblique, XLI, (1932), PP. 581, XLII, (1933), PP., 405, XLIII, (1934), PP., 572, XLIV, (1935), PP. 245.

٢ BOASOR, Number 73, P. 15, (1939).

٣ بالفتح والضم ثم التشديد ، النجفة وفيه ارتفاع ، البلدان (١٠٧/٣) .

٤ سورة الحج ، رقم ٢٢ ، اية ٤٢ ، سورة الحاقة ، ٦٩ ، اية ٦٤ ، سورة الفرقان ، ٢٥ ، أية ٣٨ ، سورة فصلت ، ٤١ ، اية ١٣ ، سورة الاعراف ، ٧ ، اية ٦٥ ، سورة هود ، اية ٥٠ .

٥ طرفة ١ ، ٨ ، Enc., Vol., I, P. 121.

٦ أحلام عاد واجساد مطهرة من المعفة والافات والاثم
ديوان النابغة مع شرحه للبطليوسي (٧٤) ،
للبطليوسي (٧٤) ، Enc., Vol., I, P. 121.

زهير[1] وفي شعر الهُذَليين[2] ، وفي شعر طفيل بن عوف الغنوي[3] ، وفي شعر (متمم بن نُوَيْرَة) شقيق (مالك بن نويرة)، وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام[4] ، وفي شعر (أمية بن أبي الصلت)، وهو ممن عاش في أيام الرسول كذلك[5] ، وفي شعر غيرهم من الشعراء الجاهلين المخضرمين[6] .

وورد في شعر لزهير بن أبي سُلمى (أحمر عاد)[7] ، وضرب المثل بشؤم أحمر عاد ، فقيل : أشأم من أحمر عاد[8] . وجعل الشاعر (أبو خداش الهذلي) (كليب وائل) كأحمر عاد في الشؤم ، وذلك بسبب الحرب التي هاجت بين

---

١ فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم
معلقة زهير ، البيت ٣٢ ، Enc., I, P., 121.

٢ ديوان الهذليين ، IXXX, 6 ، ٣١ ، ديوان هذيل ، ٣١، ٥

٣ شعر طفيل بن عوف الغنوي ، رواية ابي حاتم السجستاني عن الاصمعي (طبعة لوزاك ١٩٢٧) ، سلسلة « كب » بعناية « ف . كرنكو » ، (ص ١٣٥ ، ١٤٨) . « لنا الجبلان من ارمان عاد » .

٤ أفنين عادا ثم ال محرق فتركنهم بلدا وما قد جمعوا
شرح المفضليات (ص ٧٨) ، (٢/٢٤) ، ملحوظة ٤٠ ، المفضليات (ص ١٤) « طبعة السندوبى » .

٥ فقال : الا لا تجزعي وتكذبي ملائكة من رب عاد وجرهم
ديوان « امية بن ابي الصلت » ، « طبعة بشير يموت » (ص ٥٨) ، بيروت ١٩٣٨
Friedrich Schulthess, Uman Ibn Abi-Salt, Leipzig, 1911, S. 48.

٦ سويد بن ابى كاهل :
غلبت عادا ومن بعدهم فابت بعد فليست تتضع
المفضليات (٤٠) ، قول « صريم بن معشر بن ذهل » الملقب بأفنون من شعراء الجاهلية :
لو انني كنت من عاد ومن ارم ربيت فيهم ولقمان ومن جدن
المفضليات (ص ٥٢٥) ، وقال الطرماح بن حكيم :
لنا الجبلان من ارمان عاد ومجتمع الا لاءة والفضاة
ديوان الطرماح (ص ١٣٥) ، (سلسلة كب) ، لندن ١٩٢٧ ، بعناية « كرنكو » .

٧ فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم
معلقة زهير ، بيت ٣٢ .

٨ الامثال (ص ١١) ، « طبعة حيدر اباد الدكن » ، ابن قتيبة الدينوري ، المعاني الكبير (٨٧٩/٢ ، ١٠٢٣) .

بكر وتغلب[1] . وقد نص (ابن قتيبة الدينوري) على أن المراد من (أحمر عاد) (أحمر ثمود) اللتي عقر الناقة[2] .

ويدل ورود خبر (عاد) في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي على أن القصة كانت شائعة بين عرب الجاهلية معروفة عندهم ، وأنهم كانوا يتصورون أن قوم (عاد) كانوا من أقدم الأقوام ، ولذلك ضُرب بقدمهم المثل حتى إنهم كانوا ينسبون الشيء اللذي يريدون أن يبالغوا بقدمه ، الى عاد ، فيقولون إنه (عادي). وإذا رأوا أثراً قديماً أو أطلالاً قديمة عليها نقوش لا يعرفون صاحبها ، قالوا إنها عادية ، أي من أيام عاد[3] . وإذا رأوا بناءً قديماً لا يعرفون صاحبه ، قالوا إنه بناء عادي[4] . وقد تحدث (المسعودي) عن أشجار عادية ، أي قديمة جداً[5] . ولهذا السبب رأى (ولهوزن)[6] أن كلمة (عاد) لم تكن اسم علم في الأصل ، بل كان يراد بها القدم ، وأن كلمة (عادي) تعني منذ عهد قديم جداً ، وكذلك كلمة (من عاد) أو (من العاد) ، أو من (عهد عاد) . وان المعنى هو الذي حمل الناس على وضع تلك الأساطير عن أيام (عاد)[7] .

وقد جعل بعض الشعراء أيام (عاد) من أوليات الزمان ، التي جاءت بعد (نوح)[8] وجعل بعض آخر لفظة (إرمي) ؛ بمعنى (عادي) ، أي قديم

---

١ المعاني الكبير (١٠٢٣/٢) .

٢ المعاني الكبير (٨٧٩/٢ ، ١٠٢٣) .

٣ لعادية من السلاح استعرتها وكان بكم فقر الى الغدر او عدم
المفضليات (ص ٦١٣) ، « والعادي الشيء القديم » ، اللسان (٣١٧/٤) ، الحماسة « طبعة فرايتاغ » Freytag (١٩٥/١ ، ٣٤١) ،
Causin de Perceval, Essai, Vol. I, P. 259, Blochet, Le Culte D'Aphrodite.

٤ Sprenger, Das Leben, Bd., I, S., 512.

٥ المصدر نفسه .

٦ قال أبو دواد الايادي :
الا ابلغ خزاعة اهل مر واخوتهم كنانة عن اياد
تركنا دارهم لما ثرونا وكنا اهلها من عهد عاد
التنبيه والاشراف (ص ١٧٥) ، « طبعة الصاوي » .

٧ Wensick, P., 13.

٨ وقال بعض طيء :
وبالجبلين معقل صعدنا اليه بسمر الصعاد
ملكناه في اوليات الزمان من بعد نوح ومن قبل عاد
الاكليل (٩٠/١) .

كأنه من عهد إرم وعاد ، أو كأنه في الحكم من عاد[1] .

وقد ضرب المثل في القرآن الكريم بقدم (قوم نوح) وقـوم (عاد وثمود) حتى إن أخبارهم خفيت عن الناس فلا يعلمها إلاّ الله : (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) ، وفي ذلك دلالة على أن الناس في أيام الرسول كانوا يرون أن الأقوام المذكورة هي من أقدم الأقوام ، ولهذا ذكروا بهم للاتعاظ[2] .

وقد ورد ذكر عـاد في الكتاب الذي وجهه (يزيد بن معاوية) الى أهل المدينة يهددهم فيه بمصير يشبه مصير (عـاد وثمود) ، حيث ينزل بهم عقاباً شديداً ويصيرهم حديثاً للناس ، (واترككم أحاديث تنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود)[3] . وقال (سبيع) لأهل اليمامة : « يا بني حنيفة بعداً كما بعدت عاد وثمود »[4] .

وضرب المثل برجل من (عاد) اسمه (ابن بيض) ، زعموا أنـه كان من عاد ، وكان تاجراً مكثراً عقر ناقة له على ثنية ، فسد بها الطريق على السابلة ، فضرب به المثل[5] .

وزعم أهل الأخبار أن رجلاً غنياً من بقية (عاد) اسمه (حمار) كان متمسكاً بالتوحيد ، فسافر بنوه ، فأصابتهم صاعقة فأهلكتهم ، فأشرك بالله وكفر بعد التوحيد ، فأحرق الله أمواله ووادية الذي كان يسكن فيه فلم ينبت بعده شيء . ويزعمون أن (امرأ القيس) الشاعر ذكر ذلك الوادي في شعر له[6] .

ويذكر أهل الأخبار أن المكان الذي كان فيه (حمار) المذكور هو (جوف)، وهو موضع في ديار عاد ، وقد نسب اليه ، فقيل (جوف حمار) ، نسبة الى

---

١ الاكليل (٨٩/١ وما بعدها) .
٢ التنبيه والاشراف (ص ٨٢) .
٣ عيون الاخبار ، لابن قتيبة (٢٠٢/١) .
٤ المصدر نفسه (٢٣٣/١) .
٥ ورد في شعر بشامة بن عمرو :

كثوب ابـن بيض وقاهم به ... فسد على السالكين السبيلا

المفضليات (ص ١٦) « طبعة السندوبي » .

٦ ووداد كجوف العير قفـر قطعته ... به الذئب يعوي كالخليع المعيـل

سرح المعلقات السبع ، للزوزني ، (ص ٢٨) « طبعة دار صادر » .

(حمار بن مويلع) ، فلما أشرك بالله وكفـــر ، أرسل الله ناراً عليه فأحرقته وأحرقت الجوف أيضاً ، فصار ملعباً للجن لا يستجرىء أحد أن يمر به، والعرب تضرب به المثل ، فتقول : (أخلى من جوف حمار)[1] .

هود :

ويرد مع قوم (عاد) ذكر نبي منهـــم ، هو (هود) ، وقد نعت في القرآن الكريم بـ (أخي عاد) : « والى عادٍ أخوهم هوداً ، قال : يا قوم، اعبدوا الله »[2] . كما نعت القرآن عاداً بقوم هود : « ألا ، إن عاداً كفـــروا ربهم، ألا بُعْداً لعادٍ قوم هود »[3] . « قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح»[4]. وقد نسبه الناسبون الى (الخلود بن معيد بن عاد)[5] ، والى (عبدالله بن رباح ابن جاوب بن عاد بن عوص بن إرم)[6] ، والى (عبدالله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن إرم)[7]، ومن أهل الأنساب من زعم انه (عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح) ، الى غير ذلك من روايات[8] .

وقد وردت قصته مع قومه ونهيه لهم عن عبادة الأصنام في القرآن الكريم[9] . وقد ضرب المثل بكفر رجل من عاد ، اسمه (حمار) ، فقيـل : (أكفر من حمار) ، قالوا : «هو رجل من عاد ، مات له أولاد ، فكفر كفراً عظيماً ، فلا يمر بأرضه أحد الا دعاه الى الكفر ، فإن أجابه ، والا قتله »[10] . وذلك على نحو ما ذكرته عنه قبل قليل . وهي قصة واحدة ، رويت بطرق متعددة ،

---

١ البكري ، معجم (٤٠٥/١) .
٢ الاعراف ٧ ، آية ٦٥ ، سورة هود ، ١١ ، اية ٥٠ ، الشعراء ، ٢٦ ، اية ١٢٤ .
٣ هود ، ١١ ، آية ٦٥ .
٤ هود ، ١١ ، آية ٨٩ .
٥ نهاية الارب (٥٢/١٣) ، الاكليل (٩٣/١) .
٦ المعارف (١٤) .
٧ الطبري (٢١٦/١) « دار المعارف » .
٨ الطبري (٢١٦/١) ، ابن خلدون (٢٠/٢) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١٢٠/١)
٩ سورة هود ، ١١ ، اية ٦٥ ، ٧٩ ، الشعراء ، ٢٦ ، اية ١٢٤ ، الاعراف ٧ ، ايـة ٦٥ .
١٠ اللسان (٢٩٥/٥) .

تختلف في التفاصيل ، لكنها متفقة من حيث الفكرة والجوهر ،وعليها طابع قصص الوعّاظ وأهل الأخبار . وقد ذكر أصحاب الأخبار أن غالبية (عاد) كفرت بنبوة (هود) ، ولم تؤمن به ، لهذا أصابها العذاب والهلاك . ولم ينج منهم الا من آمن بـ (هود) واتبعه وسار معه حين ترك قومه : قوم عاد .

وقد نبه المستشرقون الى وجود شبه بين هود و (هود) الواردة في القرآن أيضاً بمعنى (يهود)[1] : « وقالوا كونوا هوداً ، أو نصارى ، تهتدوا »[2] : وأشاروا الى أن (هوداً) تعني التهود ، أي الدخول في اليهودية ، كما لاحظوا ان بعض النسّابين قالوا ان هوداً هو (عابر بن شالح بن أرفكشاد) جد اليهود ، فذهبوا الى أن هوداً لم يكن اسم رجل ، وانما هو اسم جماعة من اليهود هاجرت الى بلاد العرب ، وأقامت في الأحقاف ، وحاولت تهويد الوثنيين ، وعرفوا بيهوذا ، ومنها جاءت كلمة (هود)[3] ، وانها استعملت من باب التجوز علماً لشخص[4] .

وزعم الرواة ان هوداً ارتحل هو ومن معه من المؤمنين بعد النكبة التي حلت بقومه الكافرين من أرض عاد الى الشحر . فلما مات دفن بأرض حضرموت[5] . ويدعي الرواة انه قبر في وادٍ يقال له (وادي برهوت) غير بعيد عن (بئر برهوت) التي تقع في الوادي الرئيسي للسبعة الأودية[6] . وهي من الآبار القديمة

---

١ اللسان (٤٥١/٤) ، القاموس (٣٤٩/١) ،
Enc., Vol. 2, P. 327. f., Hirschfeld, Beitraege zu Erklaerung des Koran, Leipzig, 1886, S., 17, Note, 4.

٢ البقرة ، ٢ ، اية ١١١ ، ١٣٥ ، ١٤٠

٣ الهلال ، ٢٣ ، سنة ٦ ، جزء اب ، ١٨٩٨ (ص ٨٩٤) .

٤ « والهود : جمع هائد ، وهو التائب ، والهود : اليهود ، قال الله تعالى : « كونوا هودا أو نصارى » . التهويد : المشي الرويد ، وفي حديث عمران بن حصين : اذا مت فخرجتم بي فأسرعوا المشي ولا تهودوا كما تهود اليهود والنصارى » ، « وهود الانسان ولده : أي جعله على دين اليهود » ، منتخبات (ص ١١١ وما بعدها) ، Enc. Vol., 2, P., 328.

٥ « قال الواقدي : « ما يعلم موضع قبر نبي من الانبياء ، الا ثلاثة : قبر اسماعيل فانه تحت الميزاب بين الركن والبيت ، وقبر هود ، فانه في حقف من الرمل تحت جبل من جبال اليمن عليه شجرة تندى وموضعه أشد الارض حرا ، وقبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فان هذه قبورهم بحق » ، الطبقات ،القسم الاول من الجزء الاول (ص ٢٥) ، « تحقيق سخو » ، نهاية الارب (٦٠/١٣) ، Forster, Vol., 2, PP., 374.

٦ البكري ، تاريخ حضرموت السياسي (٦٥/١ فما بعدها) .

التي اشتهرت في الجاهلية بكونها شر بئر في الأرض ، ماؤها أسود منتن، تتصاعد من جوفها صيحات مزعجة ، وتخرج منها روائح كريهة ، ولذلك تصور الناس انها موضع تتعذب أرواح الكفار فيه[1] .

ويذهب السياح الذين زاروا هذا المكان ودرسوه الى انه موضع بركان قديم ، يظهر أنه انفجر ، فأهلك من كان حوله . ويؤيد هذا الرأي ما ورد في الكتب العربية من أنه كان يسمع لهذا المكان أصوات كالرعد من مسافات ، وانه كان يقذف ألواناً من الحمم يسمع لها أزيز راعب[2] . ومن هنا نشأت قصة قبر هود، وعذاب عاد في هذا الموضع ، على رأي المستشرق (فون كريمر)[3] .

ولا يزال هذا الموضع الذي يقال له (قبر هود) ، يزار حتى الآن، يقصده الناس من أماكن بعيدة في اليوم الحادي عشر من شعبان للزيارة ، وربما كان من الأماكن التي كان يقدسها الجاهليون[4] .

وفي هذه المناطق آثار مدن بائدة ، وقرى جاهلية ، وتشاهد كهوف ومغاور على حافتي الوادي ، وكتابات وصور منقوشة على الصخور تدل كلها على أنها كانت من المناطق المأهولة ، وأنها تركت لسبب آفات وكوارث طبيعية نزلت بهذه الديار[5] .

ورأى نفر من المستشرقين أن هذا المكان الذي فيه قبر (هود) هو الموضع الذي سماه الكتّاب اليونان Styx أو Stygis ، والذي زعم الرومان أن قبيلتين من قبائل جزيرة (اقريطش) (كريت) وهما قبيلة Minos و (رودومانتس)

---

١ البلدان (١٥٧/٢) ، « خير بئر في الارض زمزم ، وشر بئر في الارض برهوت »، منتخبات (ص ٧) ، « برهوت واد معروف قيل هو بحضرموت ، وفي حديث علي عليه السلام : شر بئر في الارض برهوت . هي بفتح الباء والراء ، بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول الى قعرها . ويقال : برهوت بضم الباء وسكون الراء » ، اللسان (١٤٣/١) ، (٣١٤/٢) .

٢ تاريخ حضرموت السياسي (٦٧/١) .

٣ « ويفيض وادي ثوبة الى بلد مهرة ، وحيث قبر هود النبي ، صلى الله عليه ، وقبره في الكثيب الاحمر ، ثم منه في كهف مشرف في اسفل وادي الاحقاف ، وهو واد يأخذ من بلد حضرموت الى بلد مهرة مسيرة ايام ، وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت » ، صفة (ص ٧) ، von Kremer, Uber die Suedarabische Sage, S., 21.

٤ تاريخ حضرموت السياسي (٦٢/١) ، Enc., Vol., I, P., 634.

٥ تاريخ حضرموت السياسي (٦٢/١) ، الهلال : الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان ١٨٩٨ (ص ٦٠٥) .

Rhodomantys تركتا موطنها الأصلي، وارتحلتا الى هذا المكان الذي ضم مئات من القبائل العربية ، فكانتا من أقواها . وقد سكنتا في رأيهم ، على مقربة من موضع سماه (بلينيوس) Stygis Aguniae Fossa[1] .

أما الأخباريون الذين زعمـوا أن (هوداً) اعتزل قومه بعد يأسه من قبول دعوته ، وأنه ذهب مع من آمن به الى مكة ، فقد ذهبوا الى أنه عاش فيهـا أمداً ، ثم مات هناك ، فقبره بمكة مع قبور ثمـانية وتسعين نبياً من الأنبياء[2] . وذكر جماعة أنه بدمشق في المسجد الأموي[3] . ولعل القصص الوارد عن (دمشق) ، وأنها (إرم ذات العماد) هو الذي أوحى الى هؤلاء فكرة جعل قبر (هود) بدمشق . ومهما يكن من شيء فـإن هناك جماعة من أهل الأخبار قبرت بعض الأنبياء في هذه المدينة ، واختارت المسجد الأموي نفسه مقبرة لهم . ولعل ذلك بسبب أن هذا المسجد كان كنيسة معظمة قديمة عند أهل دمشق قبل دخولهم في الإسلام ، وكان قد قبر فيها جماعة من قدّيسيهم ورجـال دينهم ، فلما تحولت الكنيسة الى جامع تحولت قبور هؤلاء بعواطف الناس القديمة الى قبور أنبياء . وقد ظهر مثل هذه الروايات التي تمجد الجامع الأموي في الوقت الذي تحصن فيـه (ابن الزبير) بمكة ، وتحزب أهل الحجاز على الأمويين .

وقد اتخذ القحطانيون هوداً جداً من أجدادهم ، وألحقوا نسبهم به ، وتفاخروا به[4] . فعلوا ذلك بدافع العصبية والمفاخرة على العدنانيين الذين كانوا يقولون إن فيهم الأنبياء ، ولم يكن في قحطان نبي ، فأوجد نسّابوهم نسبـاً يوصلهم الى الأنبياء ، كما أوجدوا لهم نسباً احتكر لهم العروبة ، وجعلهم الأصل والعدنانيون من الطارئين عليهم ، كما سيأتي الحديث عن ذلك .

---

١ Enc. Vol. I, P. 654, Wensinck, P. 175.

٢ أخبار مكة ، للازرقي (١/٣٠ وما بعدها) ، Enc., Vol. 2, P. 327.

٣ رحلة ابن بطوطة (١/٢٠٥) ، (٢/٢٠٣) « طبعة باريس » .

٤ « هود النبي ، عليه السلام ، المرسل الى عاد المذكور في القرآن ، هو أبو قحطان قحطان بن هود . قـال حسان :

ابونا نبي الله هود بن عابر

وهو هود بن عابر بن ارفخشذ بن سام بن نوح النبي » ، ابن خلدون (٢/٢٠) ، نهاية الارب (١٣/٥١) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطليوسي (ص ٦٣ فما بعدها) التنبيه والاشراف (ص ٧١) « طبعة الصاوي » .

وإذا صح أن الشعر المنسوب إلى حسّان بن ثابت الذي افتخر فيه بانتسابه الى (هود بن عابر) ، وبأن قومه وهم من (قحطان) منهم ، هو لهذا الشاعر حقاً ، يكون لدينا أول دليل يثبت أن هذا الانتساب كان معروفاً عند ظهور الإسلام[1] . وأن أهل (يثرب) ، وهم من الأوس والخزرج ، وهم من قحطان في عرف النسّابين ، كانوا قد انتسبوا اليه قبل الإسلام . أخذوا ذلك من اليهود النازلين بينهم ، الذين كانوا يحاولون التقرب الى أهل يثرب، للعيش معهم عيشة طيبة . فأشاعوا بين الناس أن (عابراً) ، وهو جد العبرانيين ، ووالد ولدين هما (فالغ) و (يقطان) كان جدّهم وجد أهل يثرب ، لأن أصلهم من يقطان ، وأن علاقتهم لذلك بهم هي علاقة أبناء عمّ بأبناء عم . ولما نزل الوحي بخبر (هود) ، وتفاخر المكّيون على أهل يثرب بالإسلام ، استعار أهل يثرب (هوداً) ، وصيروه (قحطاناً) ، أو ابناً له ، وانتسبوا اليه، ليظهروا بذلك انهم كانوا أيضاً من نسل نبي ، وان نبوءة قديمة كانت فيهم ، وقد كان (حسّان بن ثابت) من المتعصبين للأزد قوم أهل يثرب،والأزد من قحطان ، وكان من المتباهين بيمن وقحطان .

لقمان :

ومن قبائل عاد قبيلة كان فيها (لقمان) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي وفي القصص[2] . وقد ضرب به المثل بطول العمر ، فعدّ في طليعة المعمرين[3] ، وعدّه (أبو حاتم السجستاني) ثاني المُعَمّرين في العالم بعد

---

١ « ابونا نبي الله هود بن عابر » ، وسأتكلم عن ذلك في موضع اخر من هذا الكتاب وعندي انه متحول ، وانه حمل عليه .

٢ سورة لقمان ، تفسير الطبري (٣٩/٢١) « القاهرة ١٣٢١ هـ » ، قال صريم بن معشر بن ذهل المعروف بـ « أفنون » :

لو انني كنت من عاد ومن ارم ... ربيت فيهم ولقمان ومن جدن

المفضليات (ص ٥٢٥) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطليوسي (ص ٧٥) .

نمين فلا لـه في سوق راس ... الى لقمان في سوق مقام

البيان والتبيين (٢٣/١)

٣ Enc., Vol., 3, P. 35, Goldziher, Abhandlungen zur arabischen Philologie, S. 2, Leiden, 1899, Rene Basset, Loqman Berbere, Paris, 1890, Wensinck, P. 365.

الخضر[1] . وقد كان عرب الجاهلية يعرفون قصص (لقمان) ، وكانوا يصفونه بالحكمة . وقد وُصف في القرآن الكريم بهذه الصفة : « ولقد آتينا لقمان الحكمة »[2] . ولهذا السبب عرف بين الناس وفي الكتب بـ (لقمان الحكيم) . وذكر عنه انه كان (حكيماً عالماً بعلم الأبدان والأزمان)[3] وانه طلب من الله أن يُعمّر طويلاً فأعطاه طلبه : وعُمّر عمر سبعة أنسر ، وذكر الأخباريون أن آخر نسر أدركه ، وهلك بهلاكه اسمه (لبد) . قالوا واليه يشير (النابغة) بقوله :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد[4]

وقد أكثرت العرب في صفة طول عمر النسر ، وضربت به الأمثال . وبلبد ، وبصحة بدن الغراب . وذكروا في ذلك شعراً ، منه ما نسب الى (الخارجي) في طول عمر (معاذ بن مسلم بن رجاء) ، مولى القعقاع بن حكيم :

يا نسر لقمان ، كم تعيش ، كم تلبس ثوب الحياة يا لُبَدُ ؟
قد أصبحت دار حمْيَرٍ خربت وأنت فيها كأنك الوتدُ
تسأل غِرْبانها اذا حَجَلَتْ كيف يكون الصداع والرّمدُ[5] ؟

ويذكر أهل الأخبار ان (لقمان) قد عرف لذلك بـ (لقمان النسور) ، لأنه عمّر عمر سبعة نسور[6] . وذكر بعض أهل الأخبار انه عمّر مائة وخمسين سنة ، وانه لما مات قبر بحضرموت ، أو بالحجر من مكة[7] . وهو عمر لا يتناسب مع ما يذكره أهل الأخبار من طوله ، ومن انه يعادل عمر سبعة نسور . أما

---

١ ابو حاتم السجستاني : كتاب المعمرين « طبعة كولدتزيهر » ، (ص ٢) ، Goldziher, Abhandlungen, 2, S. 2, Enc., Vol., 3, P. 35.

٢ سورة لقمان ٣١ ، اية ١٢ .

٣ منتخبات (ص ٩٥ فما بعدها) .

٤ الفاخر (ص ٦٨) ، الطبري (٢٢٣/١) ، « دار المعارف » ، عيون الاخبار (٥٩/٤) ، نهاية الارب (٦٠/١٣ وما بعدها) ، ابو الفداء ، المختصر (٢١/١ وما بعدها) ، « دار الكتب اللبنانية » ، الكامل ، لابن الاثير ، (٤٩/١ وما بعدها) .

٥ مروج الذهب (٩٢/٢ وما بعدها) ، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » .

٦ نهاية الارب (٦٠/١٣ وما بعدها) .

٧ الكامل ، لابن الاثير (٤٩/١ وما بعدها) .

(السجستاني) ، فجعل عمره خمسمائة سنة وستين . وهو عدد أخذه من عمر النسور المذكورة ، اذ عاش كل نسر ثمانين عاماً ، والعدد المذكور هو مجموع عمر تلك النسور السبعة . غير ان من الأخباريين من أعطاه عمراً قدره بثلاثة آلاف وخمسمائة سنة[1] . وهو عمر يؤهله ولا شك لأن يكون في عداد المعمرين .

وقد ورد اسم لقمان على انه اسم خمّار في شعر منسوب للنابغة حيث يقول :

كأن مشعشعاً من خمر بصرى ... نمته البخت مشدود الخيام
حملن قلاله من بين رأس ... الى لقمان في سوق مقام[2]

وجعلوا للقمان نسباً هو (لقمان بن عاد)[3] ، وصيروه (لقمان بن ناحور بن تارخ) ، وهو (آزر) أبو (ابراهيم)[4] . وقال بعضهم : بل هو ابن أخت (أيوب) ، أو ابن خالته ، وجعله آخرون من حمير ، فقالوا له : (لقمان الحميري)[5] ، وصيره آخرون قاضياً من قضاة (بني اسرائيل)[6] . وقد اشتهر عند المسلمين بالقضاء ، ويظهر أن هذا السبب هو الذي جعل الواقدي يقول : إنه كان قاضياً في بني اسرائيل . ولم يفطن الأخباريون الى هذه الأخبار المتناقضة التي تخالف رواياتهم في عاد ، وأنها من أمم العرب البائدة ، إلا اذا جعلناه من الطارئين على قوم عاد الداخلين فيهم ، فهو غريب بين قوم عاد .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ، أن الأخباريين كانوا يرون وجود لقمان آخر ، هو غير لقمان عاد . فقد زعموا أنه كان في عهد (داوود) لقمان ، عرف بـ (لقمان الحكيم) . وقد نسبه بعضهم على هذا النحو : (لقمان بن عنقاد) ، وقد زعم (المسعودي) ، أنه كان نوبياً ، وأنه كان مولى للقين ابن جسر ، ولد على عشر سنين من ملك داوود ، وكان عبداً صالحاً ، منّ الله عليه بالحكمة ، ولم يزل باقياً في الأرض مظهراً للحكمة في هذا العالم الى

---

١ المعمرون (ص ٤) » طبعة عبد المنعم عامر » .
٢ البكري ، معجم (١١٦١/٣) .
٣ منتخبات (ص ٩٥ فما بعدها) ، نهاية الارب (٦٠/١٣) ، البيان والتبيين (١٧٤/٣) .
٤ قصص الانبياء ، للثعالبي ، (ص ٢٠٥)
٥ منتخبات (ص ٩٥ فما بعدها) .
٦ قصص الانبياء (ص ٢٠٥) .

أيام يونس بن متى حين أرسل الى أرض نينوى في بلاد الموصل[1] .

وهنالك من فرّق بين (لقمان بن عاد) وبين (لقمان) المذكور في القرآن، قال الجاحظ : (وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر ، ولقيم بن لقمان في النباهة والقدر وفي العلم والحكم ، في اللسان وفي الحلم، وهذان غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المفسرون)[2] . وقد أورد الجاحظ جملة أبيات للنمر بن تولب في لقمان ولقيم[3] .

وقد ذكر الجاحظ أنه كانت للقمان أخت محمقة ؛ تلد أولاداً حمقى ، فذهبت الى زوجة لقمان ، وطلبت منها أن تنام في فراشها حتى يتصل بها لقمان ، فتلد منه ولداً كيساً على شاكلته ، فوقع عليها فأحبلها بـ « لقيم » الذي أشرت اليه ، فهو ابن لقمان اذن من أخته . وقد أورد الجاحظ في ذلك شعراً جاء به على لسان الشاعر المذكور ، أي : (النمر بن تولب) ، زعم أنه نظمه في هذه القصة[4] وزعم الجاحظ أيضاً أن لقمان قتل ابنته (صُحرا) أخت (لقيم) ، وذلك أنه كان قد تزوج عدة نساء كلّهن خنّه في أنفسهن ، فلما قتل أخراهن ونزل من الجبل ، كان أول من تلقاه (صحرا) ابنته فوثب عليها فقتلها ، وقال : (وأنت أيضاً امرأة) . وكان قد ابتلي بأخته على نحو ما ذكرت ، فاستاء من النساء . وضربت العرب في ذلك المثل بقتل لقمان ابنته صحرا ، وقد أشير الى ذلك في شعر لـ (خفاف بن ندبة)[5] .

وقد أشير الى (حي لقمان) في شعر لأبي الطحان القيني[6] ، كما أشير اليه

---

١ أبو الفداء : المختصر (٢١/١ وما بعدها) ، مروج الذهب (٥٧/١ وما بعدها) ، منتخبات (ص ٩٥ وما بعدها) ، ابن كثير ، البداية (٢٦/٢) ، « مطبعة السعادة » ، تفسير ابن كثير (٤٤٣/٣ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (١٣٤/٧ وما بعدها) ، البلدان (٣ / ٦٠٩) ، تفسير الفخر الرازي (٧١/٧) ، تفسير الطبري (٦٧/٢١) ، الحيوان ، للجاحظ (٢١/١) .

٢ البيان والتبيين (١٣٦/١) .

٣ البيان والتبيين (١٣٦/١) ، (١٦١/١) « القاهرة ١٩٣٤ م » ، نهاية الارب (٦١/١٣) .

٤ البيان والتبيين (١٦١/١) .

٥ الحيوان (٢١/١) « طبعة الحلبي » .

٦ امست بنو القين افراقا موزعة كانهم من بقايا حي لقمان
البيان والتبيين (١٦٤/١) .

في شعر ينسب الى (لبيد بن ربيعة الجعفري)[1] . وفي شعر للفرزدق[2] ، وفي شعر لبنت وثيمة بن عثمان ترثي به أباها[3] .

وأضافوا الى (لقمان) أمثالاً كثيرة نسبت اليه في الإسلام ، ولم تكن معروفة في الجاهلية[4] . ونسب اليه بعض الأخباريين الميل الى انشاء المدن والبناء ، وضربوا به أيضاً المثل في كثرة الأكل ، فقالوا : (آكل من لقمان)[5] .

وزعم (وهبه بن منبّه) انه قرأ من حكمة (لقمان) نحواً من عشرة آلاف باب[6] ، وزعم الرواة ان عرب الجاهلية كانت عندهم (مجلة لقمان) ، وفيها الحكمة والعلم والأمثلة[7] ، وان جماعة منهم كانوا قد قرأوها وامتلكوها ، ذكروا من جملتهم (سُوَيْد بن الصامت) . وقد رووا انه كان يقرأها ، وانه أخبر الرسول بها لما قدم عليه[8] . وقد جمع الناس ، فيما بعد، حكمته وأمثاله والقصص المروي عنه ، ويشبه ما نسب اليه المنسوب الى (ايسوب) Aesop صاحب الأساطير والحِكَم والأمثال الموضوعة على لسان الحيوانات عند اليونان[9] .

وبالغوا في حكمته وفي علمه حتى زعم انه كان يدرك من الأشياء ما يعجز عن ادراكه الانسان السوي[10] . وضرب المثل في أيساره ، وعظم أمره ، حتى قيل (أيسار لقمان) ، كالذي ورد في شعر (طرفة) .

وورد في الأخبار : « اذا شرف الأيسار ، وعظم أمرهم قيل : هم أيسار لقمان . يعنون لقمان بن عاد » . واستشهدوا على ذلك ببيت طرفة :

وُهم أيسارُ لقمانٍ ، اذا أغلت الشتوةُ أبْداء الجُزُرْ[11]

---

١ واخلف قسالبتني ولعلني واعى على لقمان حكم التدبـر
البيان والتبيين (١٦١/١) .
٢ البيان والتبيين (١٦١/١)
٣ البيان والتبيين (١٦١/١) .
٤ اللسان (٢٠/١٦ وما بعدها) ، Enc., Vol, 3, P., 35.
٥ مجمع الامثال ، للميداني (٩٨/١) .
٦ المعارف (ص ٢٥)
٧ Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammad, Bd. I, S. 93.
٨ امثال لقمان الحكيم ، « طبعة ديرنبورغ » ، لندن (١٨٥٠)
٩ Sprenger, Das Leben. I, S. 93.
١٠ المعاني الكبير (١١٩٣/٣)
١١ المعاني الكبير (١١٥٢/٣) .

وقد زعم أن (زرقاء اليمامة) ، التي اشتهرت بحدة بصرها وقوة رؤيتهـا حتى انها كانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام ، كانت امرأة من بنات لقمان بن عاد، وكانت ملكة اليمامة واليمامة اسمها ، فسميت الأرض باسمها . وقد زعم ان النابغة الذبياني أشار اليها في شعره[1] .

وقد ورد في بعض الأشعار (لقمان بن عاد) . اذ جاء :

تراه يطوف الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عاد

وهناك أمثلة عديدة ينسبها الرواة الى (احدى حظيـات لقمان) ، ووردت على لسانها وعلى لسان لقمان وعلى لسان فتى اسمه عمرو[2] .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ان لقمان بن عاد ، هو الذي بنى سدّ مأرب، وأن مأرب اسم قبيلة من عاد ، وقد سمي باسمها هذا الموضع[3] .

لم يبق بعد هلاك عاد الأولى ، على رأي أهل الأخبار إلا هود ونفر ممن آمن به والوفد الذي سار الى مكة للاستسقاء ، وفيهم لقمان وكان من أكابر العاديين. فأنشأ هؤلاء عاداً الثانية ، وخالف لقمان (الخلجان) ملك عاد الأولى ، الذي خالف هوداً ، فهلك . وخاف العاديون انحباس المطر والجفـاف ، فارتحلوا الى أرض سبأ ، وبنى لقمان سد (العرم) قرب مأرب ، وبقيت عاد الثانية قائمة ، الى أن تغلبت عليها قبائل قحطان ، ثم انقرضت وبادت[4] .

ويذكر أهل الأخبار ان عاداً لما رأوا انحباس المطر عنهم ، أرسلوا وفداً ، بلغ سبعين رجلاً في قول بعض الرواة ، الى مكة يستسقون ، وكان أصحابهـا هم العمالقة يومئذ ، ورئيسهم (معاوية بن بكر) ، فأكرمهم وأضافهم،وأقاموا عنده شهراً : يشربون الخمر وتغنيهم (الجرادتان) وهما قينتان لمعاوية بن بكر، وفي الوفد المذكور لقمان . ونسوا أنفسهم هناك ، ولم يفطنوا لمـا جاؤوا اليه ،

---

١ واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمـام سراع وارد الثمد
قالت : الا ليتما هذا الحمام لنـا الى حمامتنا أو نصفها فقد
شرح ابن عقيل لالفية ابن مالك ، (٢٩٠/١) « طبعة محمد محيي الديـن عبد الحميـد » ، القاهرة ١٩٦٢ م .

٢ الامثال ، للميداني (٣٧/١) ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .

٣ البكري ، معجم (١١٧١/٣) « لجنة التاليف والترجمة والنشر » .

٤ الطبري (٢٢١/١ وما بعدها) .

إلا بعد أن ذكرتهم (الجرادتان) بما جاؤوا به اليها ، فاستسقوا ، فأرسل الله عليهم ريحاً عاتية ، أهلكت عاداً في ديارها[1] ، ودمرت كل شيء ، فهلكت ، ولم يبق من عـاد إلا من كان خارج أرضهم بمكة ، وهم من (آل لقيم بن هزال بن هزيل بن هزيلة ابنة بكر) ، فهم عاد الآخرة ، ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد[2] .

وقد ذكر المؤرخون وأصحاب الأخبار أن (عاداً) تعبدوا لأصنام ثلاثة ، يقال لأحدها : صداء ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء[3] . ولم نعثر على أسماء هذه الأصنام حتى الآن في الكتابات .

وكان هلاك (عاد) واندثارهم بسبب انحباس المطر عنهم سنين ثلاثاً ، أعقبه هبوب رياح عاتية شديدة استمرت (سبع ليال وثمانية أيام حسوماً)[4] فهلك الناس واقتلعتهم الرياح وصارت ترميهم من شدتها ، (كأنهم أعجاز نخـل منقعر)[5] . (فترى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل خاوية[6]) وخلت ديارهم منهم ، وصارت أماكنهم أثراً .

ويجمع أهل الأخبار على أن هلاك عاد ، إنما كان بفعل عوارض طبيعيـة نزلت بهم فأهلكتهم ، وهي عـلى اختلاف رواياتهم في وصفها وفي شرحها ، انحباس الأمطار عنهم ، وهبوب رياح شديدة عاتية عليهم . وقد تحدث المفسرون عنها لورود ذكرهـا في القرآن الكريم[7] . وروي أن النبي أشار الى أن هلاكهم وهلاك ثمود كان بالصواعق ، والصواعق من العوارض الطبيعية بالطبع[8] .

ويرجع قسط من أخبار (عـاد) الى الجاهليين ، فهو من القصص الشعبي القديم الموروث عنهم ، ويعود قسط آخر منه الى الإسلاميين ، وهو القسط الذي

---

١ سورة الاحقاف ٢٤ ، اية ٢٥ .
٢ الطبري (٢١٨/١ فما بعدها) ، الفاخر (ص ٦٨) .
٣ الطبري (٢١٦/١) « دار المعارف » ، قصص الانبياء (ص ٣٩) ، نهايـة الارب (٥١/١٣) ، الاصنام (١١٠ وما بعدها) ، « تحقيق احمد زكي باشا » ، مروج الذهب (٦١/٢) « طبعة دار الرجاء » .
٤ سورة الحاقة ، اية ٧ ، الطبري (٢٢٥/١ فما بعدها) .
٥ سورة القمر ، اية ٢٠ .
٦ الحاقة ، اية ٧ .
٧ ابن كثير ، البداية (١٢٠/١ وما بعدها) ، تفسير الرازي (٤٣/٢٩) ، (القاهرة ١٩٣٨ م) ، (٩/٨) ، تاريخ ابن عساكر (١٤/١)
٨ القـد الفريد (٣٦/٢) .

جاء شرحاً لما جاء موجزاً في القرآن الكريم ، ويرجع بعضه الى (الحارث بن حسان البكري) و (الحارث بن يزيد البكري) ، وتزعم روايـة وردت في تأريخ الطبري أنـه قص على الرسول قصصاً عن أمر (عاد)[1] ، ويرجع بعض آخر الى (كعب الأحبار) والى (وهب بن منبه) ، وهما من مسلمة يهود[2] ، والى (السدّي)[3]،والى أشخاص آخرين تجد ذكرهم في سند الروايات المذكورة عند (محمد بن اسحاق) صاحب السيرة ، وعند الطبري وعند آخرين من أهل الأخبار والتواريخ ممن ساروا على طريقة ذكر المسند مع الروايات .

ويظهر أن كثيراً من أخبار (عاد) وضعت في أيام (معاوية) الذي كان له ولع خاص بأخبار الماضين ، فجمع في قصره جماعة اشتهرت بروايتها هذا النوع من القصص ، وفي مقدمة هؤلاء (عُبَيْد بن شَرْيَة الجُرْهُمي) و (كعب الأحبار)[4] .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن رجلاً قصّ في أيام معاويـة ، أن إبلاً له ظلت في تيه أيمن ، وهو غائط بين حضرموت وأبين ، فالتقطها من هنـاك ، ووجد فيه موضع (إرم ذات العماد) ، ووصف أبنيته العجيبة ، وهـذا الرجل هو في جملة من موّن العاشقين للأساطير بأخبار عاد . وقد ذكر الطـبري أن (وهب بن منبه) ، قصّ أنه سمع من رجل اسمه (عبد الله بن قلابة) أن إبلاً له كانت قد شردت ، فأخذ يتعقبها ، فبينما هو في صحارى (عدن) ، وقف على موضع (إرم ذات العماد) ، وقد وصف ذلك الموضع على النحو المألوف عن (وهب) ، من اغراقه في الأساطير وفي القصص الخيالي البعيد عن العقل[5].

ثمود :

ويرد اسم ثمود في الكتب العربية مقروناً باسم (عاد) ، وبعد هذا الاسم

---

١ الطبري (٢١٧/١ فما بعدها) ، شمس العلوم (حـ ١ ، القسم الاول ، ص ٢٦٢)
٢ الطبري (٢٢٦/١) .
٣ الطبري (٢٢٥/١) .
٤ نهاية الارب (٦٢/١٣ فما بعدها) راجع قصة « ابن بيض » مع لقمان ، ويظهـر انها من قصص الجاهلية ، المفضليات (ص ٩١) ، ديوان المفضليات (ص ٩١) « طبعة بيروت ١٩٢٠ م » .
٥ تفسير الطبرسي (٤٨٦/٩)

في الغالب ، والروايات العربية الواردة عنهم لا تعرف من تأريخهم شيئاً ، انما روت عنهم قصصاً أوردتها لمناسبة ما ذكر عنهم في القرآن الكريم على سبيل العظة والاعتبار والتذكير . وقد وردت اشارات عنهم في الشعر الجاهلي[1] .

وجاء اسم (ثمود) في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، جاء منفرداً ، وجاء مقروناً باسم شعوب أخرى مثل قوم (نوح) وقوم (عاد) ، فبدأ بقوم نوح ثم عاد ثم ثمود[2] . وجاء مع ثمود في موضعين (أصحاب الرس) ،جاءوا بعد (ثمود)[3] كما جاء اسمهم قبل (ثمود)[4] . وورد أيضاً ذكر قوم (لوط) و (أصحاب الأيكة) ، وقد تقدم في هذا الموضع اسم (ثمود) ، ودعت الآية أولئك : (الأحزاب)[5] ، كما ورد ذكر (ثمود) مع (عاد)[6] . وقد تقدم اسم (عاد) على ثمود الا في آية واحدة تقدم فيها اسم ثمود على اسم (عاد) : « كذبت ثمود وعاد بالقارعة »[7] ، وورد اسم (ثمود) في آيات

---

١ ورد في الشعر المنسوب لامية بن ابي الصلت :

كثمود التي تفتكت الدين عتيا وام سقب عقيرا

وذكر قصة الناقة ، رجع ديوانه (ص ٤٤) ، « طبعة فر . شلتيز » Fr. Schulthess « لايبزك ١٩١١ م » .

وورد في شعر لسلمة بن الحرث ، وهو من معاصري عمرو بن كلثوم :

حتى تزور السباع ملحمة كانها من ثمود او ارما

راجع المفضليات (ص ٤٢٨) .

وورد اسم ثمود ايضا في شعر لجرير بن خرقاء العجلي :

ويوم الحنو قد علمت معد حصدناكم كما حصدت ثمود

المفضليات (ص ٤٣٩) ، وورد في شعر لبيد اسم ارم وعاد وثمود ، ديوان لبيد ، (ص ٢٥) ، سبائك الذهب ، للسويدي (ص ١٥) .

٢ سورة التوبة ٩ ، الاية ٧٠ ، سورة ابراهيم ١٤ ، الاية ٩ ، سورة الحج ٢٢، الاية ٤٢ ، سورة غافر ، ٤٠ ، الاية ٣١ .

٣ « وعادا وثمودا واصحاب الرس » ، سورة الفرقان ٢٥ ، الاية ٣٨ .

٤ سورة ق ، ٥٠ ، الاية ١٢ .

٥ سورة ص ، ٣٨ ، الاية ١٣ .

٦ سورة العنكبوت ٢٩ ، الاية ٣٨ ، سورة فصلت ٤١ ، الاية ١٣ ، سورة النجم ٥٣ ، الاية ٥١ .

٧ سورة الحاقة ، ٦٩ ، الاية ٤ .

أخرى من القرآن الكريم[1] .

وقد ذكر الطبري ان شعراء الجاهلية ذكـــرت في شعرها عاداً وثمود ، وان أمرهما كان معروفاً عند العرب في الشهرة قبل الإسلام،وأن من يظن أن الجاهليين لم يكونوا يعرفون عاداً أو ثموداً فإنه على وهم وخطأ[2] .

ويظهر من ورود ذكر (ثمود) في مواضع متعـــددة من القرآن ، لترهيب (الكفّار) من العاقبة التي آلت اليها حالة (ثمود) بعد أن استحبّوا العمى على الهـــدى ، واستمروا بطغواهم كما استمر طغيـــان (فرعون)[3] وقوم (مدين)[4] وغيرهم ممن ذكرناهم ، أن الجاهليين كانوا يعلمون مصير ثمـــود ومصير عاد الذي كان من نوع مصير ثمود[5] ، وأنهم كانوا يعرفون منـــازلهم كالذي يظهر بجلاء من الآية : (وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم)[6] معرفة جيدة، ولم يعين القرآن الكريم موضع منازل (ثمود) ، وإنما يظهر من آية : (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد[7]) ، أن مواضعهم كانت في مناطق جبلية ، أو في هضاب ذات صخور . وقد ذكر المفسرون أن معنى (جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيهـــا بيوتاً[8] ، وأن (الواد) هو وادي القرى . فتكون مواضع ثمود في هذه الأماكن . وقد عين أكثر الرواة (الحجر) على أنه ديار ثمود ، وهو قريـــة بوادي القرى . وقد زارها بعض الجغرافيين وعلماء البلدان

---

١ سورة الاعراف ٧ ، الاية ٧٣ ، سورة هود ١١ ، الاية ٦١ ، ٦٨ ، ٩٥ ، ســـورة الاسراء ، ١٧ ، الاية ٥٩ ، سورة الشعراء ، ٢٦ ، الاية ١٤١ ، سورة النمل ، ٢٧ الاية ٤٥ ، سورة الذاريات ٥١ ، الايـــة ٤٣ ، سورة القمر ، ٥٤ ، الايـــة ٢٣ ، سورة البروج ، ٨٥ ، الاية ١٨ ، سور الفجر ٨٩ ، الاية ٩ ، سورة الشمس ٩١ ، الاية ١١ .

٢ الطبري (٢٣٢/١) ، « طبعة دار المعارف » ، الكامل ، لابن الاثير (٥٠/١) ، نهاية الارب (٢٩٢/٢) .

٣ سورة البروج ٨٥ ، الاية ١٨ .

٤ سورة هود ١١ ، الاية ٩٥ .

٥ سورة فصلت ٤١ ، الاية ١٣ .

٦ سورة العنكبوت ٢٩ ، الاية ٣٨ .

٧ سورة الفجر ٨٩ ، الاية ٩ .

٨ الكشاف ، للزمخشري (٢٠٩/٤) ، تفسير الطبري (١١٣/٣٠) ، روح المعاني ، للالوسي (١٢٤/٣٠) .

والسيّاح ، وذكروا أن بها بئراً تسمى بئر (ثمود)[1] ، وقد نزل بها الرسول مع أصحابه في غزوة (تبوك)[2] . وقد ذكر المسعودي أن منازلهم كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي ، وديارهم بفج الناقة ، وأن بيوتهم منحوتة في الجبال ، وأن رممهم كانت في أيامه باقية ، وآثارهم بادية ، وذلك في طريق الحاج لمن ورد الشام بالقرب من وادي القرى[3] .

وينسب النسابون ثمود الى (ثمود بن جاثر أو كاثر بن إرم بن سام بن نوح)[4]، ويكتفي بعضهم بارجاع نسبهم الى عاد ، فيقولون عنهم إنهم من بقية عاد[5] . وينسبهم بعض آخر إلى (عابر بن إرم بن سام بن نوح) ، وزعموا أن ثمود هو أخو جديس[6] .

وقد استطاع المستشرقون التعرف على الثموديين من الكتابات والمؤلفات (الكلاسيكية) ، فوجدوا اسم ثمود في النصوص الآشورية : وجدوه في نص من نصوص (سرجون الثاني) ، مع أسماء شعوب أخرى سوف أتحدث عنها . وقد دعوا بـ (Tamudi) (Thamudi)[7] ، وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريين وبين هذه الشعوب ، انتصر فيها الآشوريون، كما وجدوه في النصوص والكتابات الثمودية ، وقد عثر عليها في مواضع متعددة من جزيرة العرب ، وفي النصوص (الكلاسيكية) حيث عرفوا باسم (Thamudeni) (Thamudenoi) (Thamydenoi) (Thamyditai)[8] .

---

١ البلدان (٣/٢٢١) ، الطبري (١/١١٨) ، اللسان (٥/٢٤٢) ، سبائك الذهب (ص ١٥) ، صبح الاعشى (١/٣١٣) ، تقويم البلدان (٨٩) .

٢ البكري ، معجم (٢/٤٢٦) « طبعة السقا » الاغاني (٦/٢٨) ، ابن كثير ، البداية (١/١٣١ وما بعدها) .

٣ مروج الذهب (١/٢٥٩) ، « قال كعب : لما اهلك الله عز وجل عادا ، جاءت ثمود وعمرت الارض ، وكانوا بضع عشر قبيلة .... وكانت منازلهم ما بين الحجاز الى الشام ، وهي ديار الحجر من وادي القرى » ، نهاية الارب (١٣/٧١) .

٤ صبح الاعشى (١/٣١٣) .

٥ « وثمود ، كصبور ابن عابر بن ارم بن سام . قبيلة من العرب الاول ، ويقال انهم من بقية عاد » ، تاج العروس (٢/٣١٢) ، اللسان (٣/١٠٥) « صادر » . ابن كثير ، البداية (١/١٣٠ وما بعدها) .

٦

٧ Rawlinson, Cunai Form Inscriptions, Vol., I, Pl., 36, Lyon, Sargon, P., 4, Musil, Deserta, P., 291.

٨ Musil, Deserta, P., 291, Ptolemy, Geography, VI, 7 ; 4, VI, 7;21, Diodorus, Bibliotheca Historica, III, 44, Forster, Vol., I, P., 323, Vol., 2, P., 30, 117, 274, 284.

ولقد وصف مؤلف كتـــاب : (الطواف حول البحر الأريتري) مواضع الثموديين (Thamudeni) مستنداً إلى مورد آخر ، أخذ منه ، أقدم عهداً منه . فذكر أن (Thamudeni) ، كانوا يقيمون على ساحل صخري طويل ، لا يصلح لسير السفن ، وليست فيه خلجان تستطيع أن تأوي اليه القوارب فتحتمي بها من الرياح ، ولا ميناء تتمكن من الرسو فيه ، ولا موضع أو جزر عنده تقبل اليه القوارب الهاربة من الأخطار[1] . فيظهر من وصف هذا المؤلف أن مـواطن ثمود كانت في الحجاز على ساحل البحر الأحمر .

وقد ذكر هذا الوصف ، ولكن بشيء من التحوير (ديودورس)[2] . وأمـا (بلينيوس) ، فذكر (Tamudaei) بين (Domata) و (Haegra) ومدينة دعاها (Badanatha) (Baclanaza) . وأما (بطلميوس) ، فقد جعل قوم ثمود (Thamuditae) (Thamudeni) بين الـ (Sarakenoi) وبين (Apatae)[4] ويظهر من كل ذلك أن ديارهم في شمال غربـي (العربية السعيدة)[5] ، أي في المواضع التي عينتها المصادر العربية .

يظهر من جغرافية (بطلميوس) اذن ، أن ديار ثمود كانت غير بعيدة عن ديار (عاد) ، ليس بينها وبين ديار عاد (Oaditae) الا ديار (سره كيني) (Sarakeni) وكلها في أعالي الحجاز في هذه المنطقة الجبلية التي تخترقها الطرق التجارية التي توصل الشام ومصر بالحجاز واليمن . وفي هذا تأييد للروايات العربية القائلة ان ديار ثمود كانت على مقربة من ديار عاد . فإذا كانت (الحجـر) وما والاها هي مواطن ثمود : وجب أن تكون ديار (عاد) على مقربة من هذه المواضع .

وأما تأريخ قوم (ثمود) ، فيعود الى ما قبل الميلاد بزمان . وقد ذكرتُ قبل قليل أنهم كانوا في جملة الشعوب التي حاربت الآشوريين في عهد (سرجون

---

١ Musil, Deserta, p., 302, The Periples of the Erythrean Sea, by William Vincent, London, 1800, Part the Second, P., 262.

٢ Diodorus, Bibliotheca Historica, III, 44, Musil, Deserta, P., 291.

٣ Pliny, Natur. History, (translated by H. Rackham), Vol., 2, P., 456 457, VI, 32.

٤ Glaser, Skizze, 2, S., 108, Ptolemy, VI, 7:4 VI, 7:21, V, 19 7 Hastings. A Dictionary of the Bible, Vol., I, P., 630.

٥ Musil, Hegaz, P., 291, Glaser, Skizze, 2, S., 108, 256.

الثاني) ، وقد ذكر هذا الملك في النصوص التأريخية التي سجلها ، أنـــه تغلب عليهم ، وانه أجلاهم من مواطنهم الى (السامرة) (Samaria)[1] . ولم يكن أولئك الثموديون الذين حاربوه من أبناء الساعة ، بل لا بد أن يكون لهم أسلاف عاشوا قبلهم عدة قرون .

وقد عرفت المنطقة التي حارب بها قوم ثمود والشعوب الأخرى الآشوريين باسم (بري) (Bari) ، ويظهر أنها تعني لفظة (بر) و (برية) العربية ، أي (البادية) فحرّفت الى (بري) على وفق الآشوري[2] .

ويرى بعض الباحثين أن آخر ذكر ورد في الوثائق لقوم (ثمود) كان في القرن الخامس للميلاد ، حيث ورد أن قوماً منهم كانوا فرساناً في جيش الروم[3] .

وقد كان الثموديون يقطنون بعد الميلاد في مواطنهم المذكورة في أعالي الحجاز في (دومة الجندل) و (الحجر) وفي غرب (تيماء) . وقد ذكر أنهم كانوا يمتلكون في منتصف القرن الثاني للميلاد حرّتَيْ (العوارض) و (الأرحاء)[4] . ويرى (دوتي) أن (الحجر) التي سكن بها قوم ثمود ، هي موضع (الخريبة) في الزمن الحاضر ، لا (مدائن صالح) التي هي في نظره (حجر) النبط . وتقع (مدائن صالح) ، وهي عاصمة النبط ،على مسافة عشرة أميال من موضع (الخريبة)[5] .

ولم يرد في الموارد العربية الإسلامية،ما يفيد وجود قبائل ثمودية قبيل الإسلام، أو في الإسلام ، غير ما ذكره بعضهم من نسب (ثقيف) الذي رجعوه الى ثمود،ولكن ذلك لم يرض الثقفيين . فقد كان الحجاج بن يوسف يكذب ذلك[6]، والظاهر أن أعداء ثقيف ولا سيما معارضي الحجاج وضعوا ذلك على ثقيف بغضاً

---

١ Lyon, Keilschrifttexte Sargons, S., 4, (1883), Winckler, Keilschrifttexte Sargons, (1889), Bd., 2, PL., 2, No., I, Linie 20, Schrader, Keilinschriftliche Bibliothek, (1889-1900), Bd., 2, S., 42, Musil, Deserta, P., 479, Musil, Hegaz, P., 289.

٢ Sprenger, Geography, S., 28.

٣ Doughty, Vol., I, P., 229, Sprenger, S., 28.

٤ Musil, Hegaz, P., 291.

٥ Doughty, Vol., I, P., 229.

٦ ابن خلدون (٢٤/٢) ، الكامل (٢٧٦/١) .

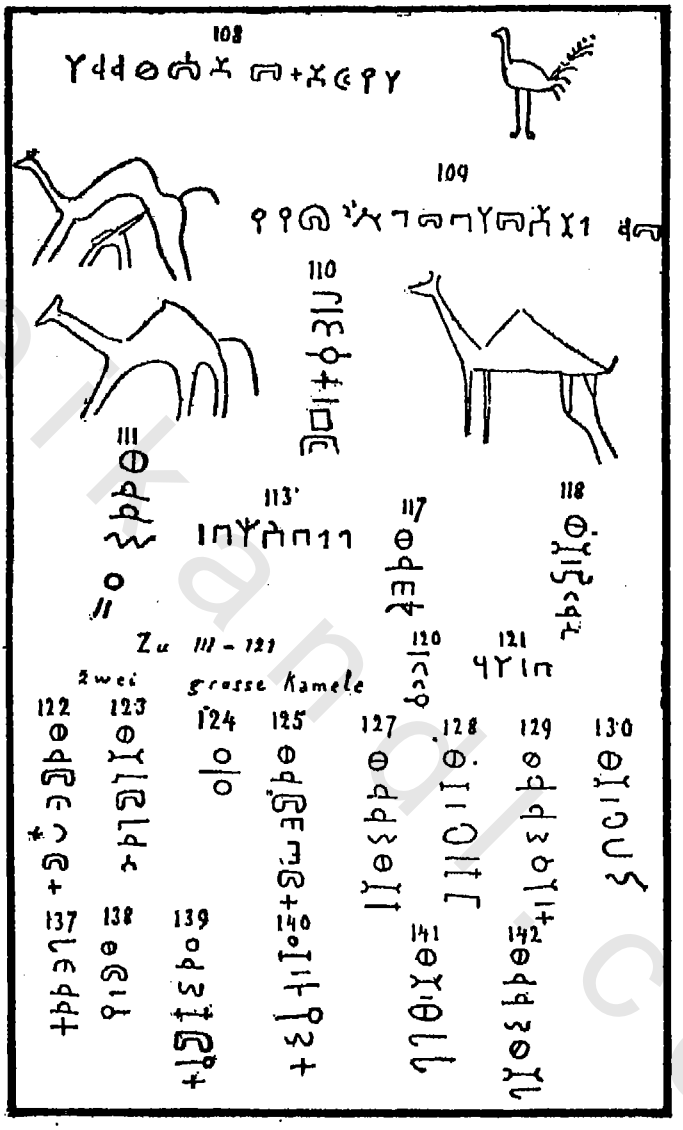

كتابات ثمودية من أعالي الحجاز من كتاب : « آنو ليتمن » :

Zur Entzifferung : Taf . 3.

للحجاج ، الذي كان قاسياً عاتياً شديداً . وقد روى (دوتي) أن بدو نجد يذكرون ان قبيلة (بني هلال) هي من نسل عاد وثمود[1] .

ونجد في كتاب : (Mission archéologique en Arabie) لمؤلفيه (Jaussen) و (Savignac) ، عدداً من الكتابات الثمودية ، عثرا عليها في (العلا) وفي مواضع أخرى من الأرضين التي هي اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية وفي أعالي الحجاز من المملكة العربية السعودية ، كما عثر غيرهما قبلهما وبعدهما على عدد آخر ، أغلبه من هذه الكتابات القصيرة ، التي كتبت على مختلف الأحجار ، بالمناسبات ، مثل تذكّر شخص،أو تسجيل اسم لمناسبة وجود صاحبه في هذا المكان ، كما يفعل كثير من الناس في أيامنا[2] .

وتمكن (لانكستر هاردنك) محافظ مديرية الآثار العتيقة في المملكة الأردنية الهاشمية من تصوير ما يزيد على خمسمائة كتابة ثمودية أرسلها الى المستشرق (أنوليمان) ، يعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، ويعود قسم منها الى ما بعد الميلاد ، ومن بينها نص أرخ بسنة (٢٦٧) للميلاد ، ونص آخر رسمت فيه دائرة في داخلها صورة تشبه الصليب ، وكتابة قرأها المستشرق (أنوليمان) : (يشوعة) أو (ليشوعة) ، أي (ليسوع)،وهو النص الذي رُقّم بـ (٤٧٦). والظاهر ان صاحبه كتبه تيمناً باسم المسيح ، ولا يعرف تأريخه بالضبط . ويعتقد (ليمان) انه أقدم شاهد عرف حتى الآن عن انتشار النصرانية في شمال جزيرة العرب[3] . وقد قرأها المستشرق (فان دين برندن) : (بوايوب) أي (لأيوب) ، أو (بأيوب)،أو (أيوب).وبالجملة فان العلماء لم يتمكنوا من ترجمة تلك الكتابات ترجمة صحيحة حتى الآن[4] .

وفي المتاحف الأوروبية وفي مكتبات بعض الجامعات وفي أوراق المستشرقين مجموعة من النصوص الثمودية ، جميعها في أمور شخصية وفي موضوعات دينية وأدعية لآلهة ثمود . وأما المناطق التي وجدت فيها هذه النصوص ، أو أخذت

---

١ Die Offenbarung Arabiens, (Arabia Deserta), Leipzig, 1937, S., 63.

٢ Van den Branden, Les Inscriptions Thamoudéennes, Louvain-Heverbe, 1950.

٣ The Muslim World, Vol., XI, No., I, January, 1950, Jesus in Pre-Islamic Arabic Inscription, by Enno Littmann.

٤ A. Van den Branden, in Le Museon, LXIII, (1950) 1-2, P., 47-51, "Une Inscription Thamoudeenne".

صورها ، فهي مناطق (حائل) بنجد ، وأرض (تبوك) وتيماء ومدائن صالح والسلاسل الجبلية الممتدة بين هذه المنطقة والحجاز ، وعثر في الطائف على بعض النصوص الثمودية أيضاً وفي السواحل الحجازية الشمالية للبحر الأحمر عند (الوجه) وفي (طور سيناء) وفي (الصفا) شرقي دمشق وفي مصر[1] . وفي (الحرة) و (الرحبة) وفي شمال غربي تدمر[2] .

وقد عثر على نقوش ثمودية في اليمن ، وبدل وجود هذه الكتابات هنالك على وجود صلات بين اليمن وثمود ، ولعلهم كانوا يقيمون في اليمن كذلك . وقد عثرت البعثة المصرية التي زارت اليمن على مخربشات ثمودية في (حجر المعقاب) عند جبل (حليل) على مسافة ليست بعيدة من (بيت حميد) بوادي شرع بالخارد[3] .

ويشك المستشرق (هوبرت كريمه) (Hubert Grimme) في صحة نسبة كثير من هذه النصوص الى ثمود ، ويرى أنها لأناس غيرهم ، إذ لا دليل علمياً هناك يثبت كون هذه النصوص تعود الى هؤلاء .

وهناك عدد غير قليل من النصوص الثمودية يعود عهدها الى العهد النبطي ، ويشغل حيزاً من الزمن يقع بين حوالي مئتي سنة قبل المسيح وثلاث مئة سنة بعده ، وتمتزج في مثل هذه النصوص الثمودية بالنبطية . وقد عثر على بعض نصوص نبطية في الحجاز ظن أنها نصوص ثمودية ، مثل نص : Hu. 418 = Eu. 772 ، ونص آخر يعود الى سنة ٢٦٧ للميلاد[4] .

إلاّ أن هناك نصوصاً ثمودية يظهر عليها أثر عبادة (صلم) (Salm) . وقد كانت (تيماء) من أهم الأماكن التي كانت تقدس هذا الإلـه حوالي سنة (٦٠٠) ق. م. ، ويرمز أهل تيماء الى (صلم) برأس ثور ، وقد وجد هذا الرمز

---

١ Ency., Vol., 4, P., 736, Musil, Negd, P., 104, 140, Huber in Journal D'un Voyage en Arabie, 1883-1884, Grimme, Entzifferung Thamudenischer Inschriften, 1904, Jausen-Savignac, Mission Archéologique en Arabie, 1-2 19011, 1914.

٢ E. Littmann, Thamud und Safa, S., 6. f, 95. f, Die Araber in der Alten Welt, I, S., 164.

٣ نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحهما ، للدكتور خليل يحيى نامي ، القاهرة ١٩٤٣ (ص ١٠٩) ، وقد عثر الرحالة « فلبي » على بعض الكتابات التي يظهر انها ثمودية لحيانية ، Philby, Sheba's Daughters, P., 441.

٤ Ch. Doughty, Documents Epigraphiques Recueillis dans le Nord de L'arabie, 1884.

على النقوش الثمودية ، كما وجدت أسماء بعض الآلهة التي كان يتعبد لهـا أهل تيماء منقوشة في النصوص الثمودية ، مما يدل على أن قوم ثمـود كانوا يتعبدون لها كذلك ، وأن هنالك صلات ثقافية ودينية بين تيماء وثمود .

ويرجح بعض الباحثين تأريخ عدد من الكتابات الثمودية الى القرن السابع قبل الميلاد . وهناك كتابات يرون أنها أقدم عهداً من القرن السابع . غير أن أكثر ما عثر عليه يعود تأريخه الى ما بعد الميلاد . وهي بالجملة في أمـور شخصية ، لا تفيد المؤرخ الذي يريد تدوين تأريخ (ثمود) فائدة كبيرة . ولكنها نافعـة على كل حال من نواح أخرى ، فهي تفيد اللغوي الذي يريد الوقوف على لغة الثموديين ومعرفة أسمائهم ولهجاتهم ، وتفيد الباحثين في اللهجات العربية الجاهلية وفي الساميّات .

والكتابات الثمودية في نظر الباحثين نوعان : كتابات قديمة وقد دونت بالقلم الثمودي القديم ، وكتابات حديثـة وقد كتبت بقلم ثمودي متطور تختلف أشكال حروفه ورسومهـا بعض الاختلاف عن القلم القديم . وللقلم الثمودي صلة بقلم (طور سيناء) ، كما أن له علاقة بالقلم المسند . وتفيد دراسته من هذه الناحية في الوقوف على تأريخ تطور الكتابة في جزيرة العرب قبل الميـلاد ، وفي تطور الأقلام بوجه عام[1] .

ويلاحظ وجود بعض الخواص في الكتابات الثمودية التي عثر عليها في الحجاز ، لا نجدها ، أو قلما نجدها في كتابات ثمودية أخرى ، عثر عليها في نجد وفي اليمن . ويعود سبب ذلك الى تأثير البيئات ، ولا شك ، في هؤلاء الثموديين الذين تأثروا بلهجات جيرانهم وبثقافاتهم ، فظهر ذلك الأثر في هذه الكتابات[2] .

ويظهر من الكتابات الثمودية أن قوم ثمود كانوا زُرّاعاً وأصحاب ماشية ، وأنهم كانوا أقرب الى الحضر ، منهم الى أهل الوبر ، فقد كانت لهم مستوطنات ثابتة استقروا فيها ، وكانت لهم معابد ثابتـة أيضاً ، أي مبنية ، وبينهم قوم اشتغلوا بالتجارة . ولعل الأيام ستجود علينا بكتابات ثمودية تتحـدث عن أمور عامة ، وعندئذ نستطيع أن نستنبط منها شيئاً عن أحوالهم من مختلف الوجوه .

---

١ Hubert Grimme, Die Loesung des Sinaischriftproblems, Die Altthamudische schrift, S., 24.

٢ Grimme, Die Loesung, S., 25.

ومن أصنام ثمود التي ورد ذكرها في كتاباتهم ، الصنم (ودّ) ، وهو من الآلهة القديمة عند العرب[1] . والصنم (جد – هد) أو (جد – هدد) ، وله عندهم معابد وسدنة يخدمونه ، ويعرف سادن الأصنام عندهم بـ (قسو) أي (قس) . عرفنا أسماء بعضهم ، ومنهم السادن (ايليا) (ايليـة)[2] . ويظهر أنه كان من الآلهة العربية العتيقة ، غير أن سعده أخذ في الأفول ، فـأخذت مكانه آلهة أخرى ، ثم عفى أثره من الذاكرة ، فلم يرد اسمه بين الأصنام التي كان يعبدها الجاهليون قبيل الإسلام . وقد بقيت مع ذلك أسماء مثل: (عبد جد) تشير الى اسم الإلـه العربي القديم[3] .

و (شمس) و (مناف) و (مناة) و (كاهل) و (بعلة) (بعلت) و(بعل) و (يهو) و (رضو) أو (رضى) ، هي أيضاً من أصنام ثمود ، سأتحـدث عنها كلها في أثناء بحثي في الديانة العربية قبل الإسلام . ومن بقيـة آلهة ثمود (عثيرت) (عثيرة) ، و (وتـن) (وت) ، و (بثع) (سمع) و (سميع) و (هبل) و (سحر) ، و (سين) و (عم) و (قين) و (يغوث) و(إلـه) و (أل) و (إلهي) و (الت) و (اللآت) و (حول) (حويل) و (ذو شري) و (سمين) و (هلال) و (صلم) و (نهى) و (عثتر سمين) و (كاهل) (كهل) ، و (ملك) و (مالك) ، و (هادي) (هـدى) ، و (بحل) ، و (رتـل) ، و (هيّج) ، و (شوع) ، و (ستـار) ، و (طنفت) ، و (سعى) ، و (غم) ، و (عس) ، و (عسحرد) ، و (عثـير) ، و (عطير) ، و (تجر) ، و (دبر)[4] .

وبعض هذه الأسماء ليست في الواقع أسماء آلهة ، وإنما هي من قبيل ما يقال له (الأسماء الحسنى) عندنا أو صفات الله ، فلفظة (سمع) مثلاً ، وهي بمعنى (سميع) أو (السميع) في عربيتنا ليست اسم إلـه معين ، إنما هي صفة للإلـه، بمعنى أن الإلـه هو سميع يسمع دعوات الداعين . ولذلك يخاطبه المؤمنون ويقولون له (سمع) (يا سميع) ، ليسمع دعاءهم وليجيب طلباتهم ، وهنـاك ألفاظ

---

١ J. Wellhausen, Reste, S., 14.

٢ Grimme, S., 39, Note 9.

٣ Wellhausen, S., 146.

٤ Van den Brandeen, Les Inscriptions, PP., 10.

أخرى هي من هذا القبيل .

ووصلت الينا أسماء ثمودية كثيرة ، مثل : (أوس) و (سعد) و (عفير) و (وائل) و (بارح) و (كربال) (كرب إيل) و (عش) (عائش) و (مالك) (ملك) و (عذرال) (عذرايل) ، و (عوذ) ،و (أسعد) ، و (عياش) ، و (إياس) ، و (قيس بن وائـــل) (قس بن وال) وغيرها ، مما يخرجنا ذكرها عما نحن فيه . وهي أسماء لا يزال بعضها مستعملاً[1] .

ويلاحظ أن بعض هذه الأسماء مثل (كرب ال) و (عذرال) ،وما شاكله ، قلّ استعمالها عند العرب قبيل الإسلام ، بينما كانت من الأسماء الشائعة في الجاهلية البعيدة عن الإسلام ، ولا سيما بين الجاهليين في العربية الجنوبية ،حيث ترد بكثرة في كتابات المسند .

ويرى (برو) Brau أن ثموداً أصيبوا بكارثة عظيمة ، من ثوران براكين أو هزات أرضية ، بدليل ورود كلمة (رجفة)[2] وكلمة (صيحة) في القرآن الكريم ، وذلك محتمل جداً ، لأن البقاع التي كانوا يقطنونها هي من مناطق الحرار[3] .

ويشبه مصير (عاد) و (ثمود) مصير (سدوم) (Sodom) وعمورة (جمورة) (كمورة) (Gomorrah) وبقية مـــدن الدائرة في عمق السديم[4] التي تقع – على رأي كثير من علماء التوراة – في جنوب البحر الميت ، فقـــد لاقت هذه المدن ، وهي خمس عـــلى سهل (دائرة الأردن) المصير الذي لقيه قوم عاد وثمود ، حيث أرسل الله عليهم عذاباً (فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض)[5]. وأصحاب هذه المدن هم : قوم (Lot) (لوت).

---

١ E. Littmann, Thamud und Safa, (Abhand. f. d. Kunde d. Morgenlandes 25, I), 1940, Die Araber in der Alten Welt, I, S., 163. ff., M. Hofner, Die Beduinen in L'Antica Societa Beduina (Studi Semitici), 1959, 53. f.

٢ Ency., Vol., 4, P., 736.

٣ James A. Montgomery, Arabia and the Bible, P., 91, Hastings, P., 734.

٤ قاموس الكتاب المقدس (٥٥١/١) ، (١١٩/٢ ، ٣٠٠) ، Hastings, P., 734, Ency. Bibl., P., 3790.

٥ التكوين ، الاصحاح التاسع عشر ، الاية ٢٣ وما بعدها .

و (لوت) هو (لوط) المذكور في القرآن الكريم . وقد رأيت ان القـرآن الكريم قد أشار الى مصير (قوم لوط)، وأطلق على ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة (الأحزاب) . « وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب»[1].

وقد تعرض المفسرون لقوم (لوط) وما حل بهم من العذاب،وبحث عنهم أهل الأخبار والتأريخ ، باعتبار ان أخبارهم هي صفحة من صفحات التأريـخ القديم العام قبل الإسلام . وفي الرواية التي ذكرها (الطبري) في تأريخه عنهم ، وسندها مرفوع الى (محمد بن كعب القَرَظَمي) ذكر للقرى الخمس الواقعة حول (سهل دائرة الأردن) ، وقـد دعاها بـ (المؤتفكات) المأخوذة من القرآن الكريم من « والمؤتفكة أهوى »[2] ، وهي : صبعة ، وصعرة ، وعمرة ، ودوما ، وسدوم ، بحسب رواية الطبري هذه[3] . وفي هذه الأسماء تحريف وتغيير في الترتيب الذي وردت به في التوراة ، اذ هي فيها على هذا الشكل : سدوم (Sodom) و (عمورة) (Gomorrah) و (ادمة) (Admah) و (صبويم) (Zeboim) و (بالع) (Bela)وتسمى أيضاً بـ (صوغر) (Zoar)[4] .

وقد نبه القرآن قريشاً الى مصير يشبه مصير (ثمود) ، اذ كفـروا بنبوة نبيهم (صالح) ، وعقروا (الناقة) التي أرسلت لهم آية تحذرهم من عاقبة كفرهم ومن استمرارهم في تكذيبهم نبوة نبيهم . فلما استمروا في غيهم وضلالهم، أرسل الله عليهم (الصيحة) ، فأهلكتهم ، ورجفت الأرض بهم ، فلم يبق من كفّارهم على الأرض إلا رجل واحد ، هو (أبو رغال) كان في حرم الله ، فمنعه حرم الله من عذاب الله[5] .

ويذكر أهل الأخبار أنّ رسول الله لما غزا غزاة تبوك ، نزل (الحجر) ، ونهى الناس من دخول القرية ، ومن شرب مائها ، وأراهم مرتقى الفصيل .

---

١ سورة ص رقم ٢٨ ، الاية ١٣ ، وتجد قصة لوط وقومه مفصلة في تأريخ الطبري (١/١٥٠) وما بعدها ، نهاية الارب (١٣/١٢٣ ، ٢٤٨) .

٢ سورة النجم ، الاية ٥٣ .

٣ الطبري (١/٣٠٧) .

٤ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٠٠) ، Hastings, P. 734

٥ الطبري (١/٢٣١ فما بعدها) « طبعة دار المعارف » .

والقرية المذكورة هي (الحجر) ، وهي (قرية ثمود)[1] .

وقد ورد في شعر (حسّان بن ثابت) : (أشقى ثمود) ، وقد ذكر الشرّاح أنه (قدار بن سالف أحيمر ثمود) ، وهو عاقر ناقة صالح[2] . وهكذا نجد لثمود (أحيمراً) على نحو ما وجدنا عند عاد .

ويرجع سند روايات (الطبري) عن ثمود الى (الحسن بن يحيى) ، ويتصل سنده بـ (أبي الطفيل) ، والى (القاسم) ، وينتهي سنده الى (عمرو بن خارجة)،و (ابن جريج) عن جابر بن عبدالله و (اسماعيل بن المتوكل الأشجعي) وينتهي سنده بـ (عبد الله بن عثمان بن خثيم) عن (أبي الطفيل)[3] .

وتفيدنا دراسة هذه الأسانيد وأمثالها فائدة كبيرة في الوصول الى معرفة الموارد التي أمدّت الأخباريين بأمثال هذه الأخبار .

طسم وجديس :

وساق الأخباريون نسب (طَسْم) على هذه الصورة : (طسم بن لاوذ بن إرم) أو (طسم بن لاوذ بن سام) ، أو (طسم بن كاثر) ، أو ما شابه ذلك من نسب[4] . ونحن لا نعرف الآن من أمرهم غير ما ورد من القصص المدون في الكتب ، ، ولم يرد لهم ذكر في القرآن الكريم . وقد جعلهم بعض أهل الأخبار من أهل الزمان الأول ، أو من عاد[5] .

وقد شكّ حتى الأخباريون في الأخبار المنسوبة الى (طسم) ، إذ اعتبروها أخباراً موضوعة ، فقال بعضهم : (وأحاديث طسم : يقال لما لا أصل له . تقول لمن يخبرك بما لا أصل له : أحاديث طسم وأحلامها ، وطسم احدى قبائل

---

١ الطبري (٢٣١/١ فما بعدها) .

٢ كأشقى ثمود ، اذ تعاطى لحينه عضيلة ام السقب والسقب وارد
ديوان حسان (ص ١٢٠) « للبرقوقي » .

٣ الطبري (٢٣١/١) .

٤ الطبري (٧٧١/١) « طبعة أوربة » ، ابن خلدون (٢٤/٢) ، الاغاني (٤٨/١٠) ، ابن الاثير (١٣٩/١) ، الطبري (٢٠٣/١ وما بعدها) « دار المعارف »

٥ اللسان (٣٦٣/١٢) .

العرب البائدة)[1] .

أما مواطن طسم ، فكانت اليمامة ، وعند بعضهم الأحقاف والبحرين[2] . وقد زعم الأخباريون أن طسماً وجديساً سكنتا اليمامة معاً ، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرهـا ، ثم انتهى الملك الى رجل ظالم غشوم من (طسم) يقال لـه (عمليق) أو (عملوق) إستذلّ جديساً ، وأهانها ، فثارت جديس وقتلت عملیقاً ومن كان معه من حاشيته ، واستعانت طسم بـ (حسّان بن تبع) من تبابعـة اليمن ، فوقعت حرب أهلكت طسماً وجديساً ، وبقيت اليمامة خالية ، فحل بها (بنو حنيفة) الذين كانوا بها عند ظهور الإسلام[3] .

وذهب نفر من المستشرقين الى أن طسماً من الشعوب الخرافية التي ابتدعهـا الأخباريون ، غير أنه لا يستبعد أن يأتي يوم قد يعثر فيه على أخبار هؤلاء القوم وعلى اسمهم في الكتابات . وقد وردت في نص يوناني عثر عليه في (صلخد) ، ويعود تأريخه الى سنة (٣٢٢م) جملة (أنعم طسم) ، فلا يستبعد أن يأتي اليوم الذي نقرأ فيه نصوصاً تعود الى طسم[4] .

ويروي أهل الأخبار ان (الأسود بن رباح) ، وهو قاتل عمليق ، هرب بعد ذلك من اليمامة الى جبلي طيء ، فأقام بهما الى أن جاءت طيء ، وأمـر سيدهم (سامة بن لؤي) ابنه الغوث أن يقتل الأسود ، بعد أن رأوا ضخامة جسمه بالنسبة الى أجسامهم ، وخافوا منه ، فجاء اليه الغوث ، ثم أخذ يكلمه ، ثم باغته بأن رماه بسهم قتله ، واستقرت طيء بالجبلين[5] .

وذهب (جرجي زيدان) الى أن (طسماً) هي (لطوشيم)[6] ، وهي قبيلة من العرب ورد اسمها في التوراة على انهـا من نسل (ددان بن يقشان) وورد

---

١ الاغاني (١٠٣/١١) ، اللسان (٢٥٦/١٥) ، الاغاني (٤٥/١٠) ، الطبـري (٢٠٦/١) ، دار المعارف .

٢ ابن خلدون (٢٤/٢) ، الطبري (٢٠٦/١) المعارف لابن قتيبة (١٣)
Enc., Vol., I, P., 992.

٣ وعند الطبري انه « تبان اسعد كرب ملكي كرب » ابن خلدون (٢٥/٢) المعـارف (٣٠٨) ، الامثـال للميدانـي (١٩٢/١) ، (٦٩٠/٢) الاغانـي (٤٥/١٠) (٨٩/١٠) « بيروت »

٤ D. H. Mueller, Suedarabische Studien, S., 67.

٥ ابن خلدون (٢٥/٢) ، الاغاني (٤٧/١٠) ، (٩٢/١٠) « طبعة بيروت » .

٦ الهلال ، الجزء العشرون ، السنة الخامسة ، حزيران « ١٨٩٧ م » ، (ص ٧٧٦)

معها اسم قبيلة أخرى من قبائل (ددان) دعيت بـ (Leummim) (لاميم) ، يرى زيدان أنها (أميم)[1] .

ونسب الأخباريون الى طسم صنماً سموه (كثرى) ، لعله الصنم (كثرى) الذي أدرك الإسلام ، فحُطم مع الأصنام الأخرى التي أمـر الرسول بتحطيمها تخلصاً من عبادة الأصنام ، فحطمت أينما وجدت ، وقد حطم الصنم (كثرى) (نهشل بن الربيس بن عرعرة) ، ولحق بالنبي[2] .

وقد ضرب أهل الأخبار المثل بـ (كلب طسم) . وذكروا قصته على هذا النحو : كان لرجل من طسم كلب ، وكان يسقيه اللبن ويطعمه اللحم ويسمنه، يرجو أن يصيب به خيراً ويحرسه ، فجاع يوماً فهجم على صاحبـه وأكله ، فضرب به المثل فقيل : سمّن كلبك يأكلك[3] .

وقد جاء ذكر طسم في شعر للحارث بن حلزة ، هو :

أم علينا جرى إياد كما قيل لطسم أخوكم الأبناء

وقد قال الأصمعي في شرحه : « كان طسم وجديس أخوين،فكسرت جديس على الملك خراجه ، فأخذت طسم بذنب جديس »[4] . فضرب لذلك بها المثل ، لمن يؤخذ بجريرة غيره .

جديس :

وقالوا عن (جديس) انهم حي من عاد ، وهم اخوة طسم ، أو انهـم

---

١ التكوين ، اصحاح ٢٥ ، اية ٢٣ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٩٣/٢) .

٢ قال عمرو بن صخر بن أشنع :
حلفت بكثـرى حلفة غيـر بـرة لتستلبني أثواب قيس بن عـازب
الاصنام (ص ١١٠) ، تاج العروس (١٢٥/٢) .

٣ قـال بعض الشعراء :
ككلـب طسم وقـد يربيـه يعلـه بالحليب في الغلس
ظـل عليـه يوما يفرفـره ان لا يلغ في الـدماء ينتهس
الفاخر (ص ٥٧) .

٤ الملعاني الكبير ، (١٠١١/٢) ، « طبعة حيدر اباد دكن » .

حي من العرب كانوا يناسبون عاداً الأولى[1] . وقالوا انهم أبناء (جديس بن لاوذ ابن إرم بن سام بن نوح)[2] ، أو أبنـاء (جديس) شقيق (ثمود بن غاثر ابن إرم بن سام بن نوح) ، أو ما شابه ذلك من نسب[3] . وقد كانوا أتباعاً لطسم ، ويسكنون معهم في اليمامـة ، ثاروا على (عمليق) (عملوق) ملك طسم ، فكانت نهاية طسم كما كانت نهاية (جديس) ، ولذلك قيل « بوار طسم بيَدَيْ جديس »[4] .

ويذكر أهل الأخبار أن جديساً لما قتلت (عملوقاً) ومن كان معه من قومه طسم ، هرب رجل من طسم اسمه (رباح بن مُرّة) ، حتى أتى (حسان بن تُبَّع) ، فاستغاث به ، فخرج (حسان) في حِمْيَر ، فأباد جديساً، وأخرب بلادهم ، وهدم قصورهم وحصونهم[5] . ويرى (كوسين دي برسفال) أن اغارة حمير المذكورة كانت حوالي سنة (٢٥٠) بعد الميلاد[6] .

ويرتبط بخبر هذه الابادة قصة امرأة زعم انهـا كانت أقوى الناس بصراً ، ترى من مسافات بعيدة جداً ، عرفت بـ (زرقاء اليمامة) . وقد ورد قصص عنها ذكره أهل الأخبار[7] .

وورد في بعض الأخبار أن (جذيمة الأبرش) كان قد حارب (طسماً)

---

١ اللسان (٣٥/٦) .

٢ الطبري (٧٧١/١) « طبعة اوربة » ، (٦٢٩/١) « دار المعارف » ، ابن خلدون (٢٤/٢) ، الاغاني (٤٨/١٠) ، المعارف (ص ١٤) ، « جديس بن عامر بن ازهر ابن سام بن نوح ، ابن الاثير الكامل (١٣٩/١) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١٦٧/١) ، « وجديس : حي من عاد ، وهم اخوة طسم . وفي التهذيب جديس: حي من العرب ، كانوا يناسبون عادا الاولى » ، اللسان (٣٣٣/٧)

٣ المصادر نفسهـا . Ency., Vol., I, P., 992.

٤ اللسان (٣٣٤/٧) ، الامثال ، للميداني (١٩٢/١) ، (٦٩٠/٢) ، الاغانـي (١٦٤/١١) ، « دار الكتب المصرية » .

٥ الطبري (٦٢٩/١ فما بعدها) ، « حسان بن اسعد تبع » ، شمس العلوم (الجزء الاول ، القسم الثاني) (ص ٣٠٧) .

٦ Caussin de Perceval, Essai, 2, P., 26, Ency., Vol., I, P., 992.

٧ وهناك قصة عن زرقاء اخرى ، كانت ترى من مسافة بعيدة ذكروها في تفرق ولد معد ، الاغاني (٣٦/١١ ، ١٥٥) ، « دار الكتب المصرية » ، مجمع الامثـال ، للميداني (١٢٠/١) ، الكامل ، لابـن الاثير (٢٠٧/١) .

و (جديساً)[1] .

ويذكر أهل الأخبار أن (حسّان بن تُبّع) الذي أوقع بجديس ، هو (ذو معاهر) ، وهو (تبع بن تبع تبان أسعد أبي كرب بن ملكيكرب بن تبع بن أقرن) ، وهو أبو (تبّع بن حسان) ، الذي يزعم أهل اليمن أنه قدم مكة ويثربَ ، وأنه وجّه ابنه (حسان) الى (السند) وابنه (شمرد الجناح) (سمر)، إلى آخر ذلك من قصص سأتحدث عنه في أثناء الكلام على مملكة (حمير وذي ريدان)[2] .

ويذكر أهل الأخبار أيضاً أن التي أبصرت جند (حسان) اسمها (اليمامة) ، وكانت أول من اكتحلت بالإثمد ، ولهذا تكوّنت في عينيها عروق سود منه ، كانت هي السبب في نشوء حدة البصر عندها ، وأن (حسان) أمر ففقئت عيناها لإدراك سبب حدة بصرها ، فاكتشف وجود الإثمد بهما،ويزعمون أنه أمر بابدال اسم (جوّ) مساكن طسم وجديس الى (اليمامـــة) ، فعرفت بهذه التسمية مذ ذلك الحين[3] .

وإذا كان ما جاء في شعر الأعشى عن (اليمامة) وعن حسان صحيحاً، فإنّ ذلك يدلّ على أن القصة المذكورة كانت شائعة معروفة في أيامه بل وربما قبل أيامه ، والظاهر أن أهل الأخبار قد أخذوا اسم اليمامة من اسم المكان ، فصيروه إمرأة ذات بصر حديد . ونجد قصة (اليمامة) ومجيء التبع في شعر للنمر بن تولب العُـكلي[4] . ونجد اتفاقاً بين القول المنسوب الى اليمامة في سياق القصة وبين قولها في الشعر المنسوب الى الأعشى وإلى النمر .

وقد ذكر (ابن دريـــد) أن (تبع) أرسل على مقدمته (عبد كلال بن مثوب بن ذي حرث بن الحارث بن مالك بن غيدان) الى اليمامة ، فقتل طسماً وجديساً . ولم يذكر اسم ذلك التبع[5] .

---

١ Enc., Vol., I, P., 992.

٢ « سمى ذا الجناح » في طبعة « دار المعارف » ، (١/٦٣٢) ، (شمر) في الطبعات الاخرى ، وفي الموارد الاخرى . وهو الصحيح .

٣ الطبري (١/٦٣٠) « دار المعارف » .

٤ ديوان الاعشى (٧٢ — ٧٤) ، الطبري (١/٦٣٠ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١/٤٥١) .

٥ الاشتقاق (ص ٣٠٧ وما بعدها) .

ويعتقد بعض المستشرقين أن اسم (Jolisitae) أو (Jodisitae) الوارد في (جغرافيا بطلميوس) إنما يقصد به قوم (جديس) ، وأنهم كانوا معروفين في حوالي سنة (١٢٠) بعد الميلاد[١] .

وقد نسب أهل الأخبار أماكن عديدة الى طسم وجديس ، وهي قرى ومدن ذكر أنها كانت عامرة آهلة بالسكان ذات مزارع ، وقد بقي بعضها في الإسلام، ووصفه أهل الأخبار . وإذا صح أنها كانت لطسم وجديس حقاً ، وأنها كانت من أعمالهم ونتاجهم ، فإن ذلك يدل على ان القوم كانوا حضراً وعلى مستوى من الرقي ، ولم يكونوا بدواً على شاكلة الأعراب . وربما يعثر على كتابات في هذه المواضع تكشف اللثام عن حقيقة أصحاب هذه المواضع وهوية الأقوام التي عاشت فيها .

ومن الأماكن المذكورة (المشقر) ، وهو حصن بين نجران والبحرين على تل عال ، يقابله حصن سدوس ، وهو من أمكنة (طسم) . وقد نسب بعض الرواة بناءه — كعادتهم عند جهلهم أسماء الأماكن — الى سليمان ، وقد سكنته عبد القيس أهل البحرين[٢] . و (معنق) من قصور اليمامة على أكمة مرتفعة[٣] . و (الشموس) قيل : انه من بناء (جديس)[٤] .

ومن قرى اليمامة الشهيرة (حجر) ، وكانت لطسم وجديس ، والظاهر انها كانت عامرة ذات قصور عالية كثيرة ، وانها كانت محاطة بالمزارع ، وانها بقيت مدة طويلة مهملة في وسط الرمال التي تكونت في تلك البقاع المنبتة الخصبة التي تحولت الى صحراء[٥] . و (القرية) (قرية بني سَدُوس) ، وكان بها قصر عظيم من الصخر ، وقد زعموا انه كان من حجر واحد بناه جنّ سليمان[٦] . و (جعدة) وهي حصن ، وبها قصر قديم (عادي) ينسبونه الى طسم وجديس، ويظهر انه ظلّ باقياً الى أيام (الهمداني) ، بدليل وصفه له في كتابه (صفة

---

١ Ptolemy, Geogr., I, 29, Libr., VIII, (Ed. Wilberg), Ency., Vol., I, P., 992.

٢ البلدان (٦٥/٨) ، اللسان (٩١/٦) .

٣ البلدان (٦٥/٨) .

٤ البلدان (١٠٠/٨) .

٥ البلدان (٢٢١/٣) .

٦ البلدان (٧٦/٧ فما بعدها) ، الهمداني ، صفة (ص ١٤١) .

جزيرة العرب) والظاهر من وصفه أن الحصن كان عظيماً ، وانه كان يحيط بالقرية ، وأن أساسه من اللبن وحوله منازل الحاشية للرئيس الذي يكون فيه ، وكان فيه الأثل والنخيل ، وحوله منازل الناس والسوق،ويحيط بالقرية خندق ، وفي السوق آبار . قال الهمداني : انها مئتان وستون بئراً ماؤها عذب فرات[1] . و (خضراء حجر) ، وهي حضور (طسم) و (جديس) ، وفيها آثارهم وحصونهم وبتلهم ، الواحد بتيل ، وهو مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين . وقد يبلغ في وصف ارتفاع هذه (البتل) وطولها ، حتى زعم ان ارتفاع ما تبقى منها الى أيام الهمداني كان قد بلغ مئتي ذراع في السماء[2] . و (الخضرمة) ، وكانت لجديس ، وبها آثار قديمة كثيرة[3] ، و (الهدار)[4] و (ريمان)[5] .

أميم :

وجعل الأخباريون (أميماً) في طبقة طسم وجديس ، وقالوا انهم من نسل (لاوذ بن عمليق)[6] ، أو (لوذ بن نوح) ، أو ما شابه ذلك من شجرات نسب[7] . وكان من شعوبهم على زعم أهل الأخبار (وبار بن أميم) ، نزلوا برمل (عالج) بين اليمامة والشحر ، وانهارت عليهم الرمال فأهلكتهم[8] . ويزعم أهل الأخبار أن ديار (أميم) كانت بأرض فارس ، ولذلك زعم بعض نسابة الفرس انهم من (أميم) ، وان (كيومرت) الذي يُنسَبون اليه هو ابن أميم ابن لاوذ[9] .

---

١ الهمداني : صفة (ص ١٤١) .
٢ صفة (١٤١) .
٣ صفة (١٤١) .
٤ صفة (١٤١) .
٥ صفة (١٤١) .
٦ الطبري (١/٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) ، (١/٢٠٣ وما بعدها) ، « دار المعارف » .
٧ طبقات ابن سعد (١/١ ص ١٩) .
٨ الطبري (١/٢٠٣) « دار المعارف » .
٩ ابن خلدون (٢/٢٨) .

ولا نعرف من أمر أميم شيئاً غير هذه النتف ، ولم يذكر الأخباريون كيف عدوهم من طبقة العرب الأولى اذا كانت ديارهم بأرض فارس ، ولم يشرحوا لنا كذلك كيف وصلوا نسب (وبار) بأميم ، وما العلاقة بينهما .

وقد ذكر الهمداني أن وبار هو شقيق (كيومرت) ويقال (جيومرت) ، وقد أولدهما (أميم) . وبوبار عرفت أرض (وبار) ، وهي أرض أميم[1] .

وجاء في جغرافيا (بطلميوس) اسم شعب عربي دعي (Iobaritai) (Jobaritae) (Jobabitae) ، على انه من شعوب العربية الجنوبية ، ويسكن على مقربة من أرض قبيلة أخرى دعاها Sachalitae ، وتقطن عند خليج يدعى باسمها (Sinus Sachalits)[2] . وهذا الاسم قريب جداً من اسم (وبار) ، لذلك ذهب المستشرقون الى أن (Jobaritae) ،هو شعب وبار[3] أو (بنو وبار)[4]. غير أن هنالك عدداً من العلماء يرون أن الاسم الأصلي الذي ورد في جغرافيا بطلميوس هو (يوباب) ، غير أن النساخ قد أخطأوا في النسخ فحرفوا حرف الباء (B) الثاني في هذا الاسم وصيّروه راء (R) ، فصار الاسم بعد هذا التحريف (Jobabitae)[5] . فالشعب الذي قصده بطلميوس — على حد قول هؤلاء — هو (يوباب) أو (يباب) ، الا انه لا يوجد هنالك دليل قوي يثبت حدوث هذا التحريف[6] .

وفي موضع ليس ببعيد عن هذا المكان الذي ذكره بطلميوس تقع أرض وبار الشهيرة ، وهي بين رمال يبرين واليمن « ما بين نجران وحضرموت وما بين مهرة والشحر » ، أو ما بين الشحر الى تخوم صنعاء . وقيل : « قرية وبار كانت لبني وبار ، وبين رمال بني سعد وبين الشحر ومهرة » ، والنسبة اليها

---

١ الاكليل (١/٧٧) ، « ولحقت اميم بارض اباد فهلكوا بها ، وهي بين اليمامه والشحر ، ولا يصل اليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن . وانما سميت ابار بابار بن أميم » ، الطبري (١ / ٢٠٨) « دار المعارف » .

٢ Forster, Vol., I, P., 173. f., Vol., 2, P., 270. Ptolemy, VI, 7, Glaser, Skizze, 2, S., 256.

٣ Ritter, Erdkunde, Berlin, 1896, Bd., XIII, S., 315, Sprenger, Geographie, S. 296.

٤ الطبري (١/٧٥٠) « طبعة اوربة » .

٥ Forster, Vol., I, P., 177.

٦ Forster, Vol., I, P., 173, Vol., 2, P., 270.

(أباري)[1] . ونرى ان هذه النسبة قريبة من الاسم الـذي ذكره بطلميوس .. ويدعي (ياقوت الحموي) انها مسماة بـ (وبار بن إرم بن سام بن نوح)[2] .

وقد روت الكتب العربية قصصاً كثيرة عن (وبار) ، ومن جملة الأساطير التي تروى عنها أسطورة (النسناس) . وتتلخص في أنهم (من ولد النسناس بن أميم بن عمليق بن يلمع بن لاوذ بن سام) ، وأنهم كانوا في الأصل بشراً ، فجعلهم الله نسناساً، للرجل منهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة ، وأنهم صاروا يرعون كما ترعى البهائم ، وأنهم يقفزون قفزاً شديداً ويعدون عـدواً منكراً[3] . والظاهر أن لهـذه القصص والأساطير أصولاً جاهلية ، وقد وضع منها في الإسلام شيء كثير ، ووضع معها شعر كثير على لسان ذلك (الإنسان الحيوان) ، ولا يزال الناس يروونها حتى الآن .

وقد أنكر بعض المستشرقين ، وجود وبار ، وزعموا أنهم من الشعوب التي ابتكر وجودها القصاص قائلين إن تلك الرمال الواسعة المخيفة هي التي أوحت إلى القصاص والأخبـاريين إختراع شعب (وبار) وقصص النسناس[4] . والذي أراه أن هذا لا يمنع من وجود شعب بهذا الاسم ، وإن كنا لا نعرف من أمره شيئاً إلا هذه القصص والأساطير . وقديماً أنكروا وجود عاد وثمود ، ثم اتضح بعد ذلك من الكتابات وجود عاد وثمود . وهكذا قد يعثر في المستقبل على كتابات وبارية لعلها تلقي ضوءاً على حالة ذلك الشعب .

ونجد في رواية أهل الأخبار عن عمار (وبار) وكثرة زروعها ومراعيها ومياهها في الجاهلية شيئـاً من الأساس . فقد أيد السياح ذلك ، وأثبتوا وجود أثر من آثار عمران قديم[5] . وهو سند يتخذه القائلون بتطور جوّ بلاد العرب ، وسطحها لإثبات رأيهم في هذا التغيير .

---

١ البلدان (٣٩٢/٨ فما بعدها) ، منتخبات (ص ١١٣) ، « ولحقت أميم بـارض وبار فهلكوا بها ، وهي بين اليمامة والشحر . ولا يصل اليوم اليها احد ، غلبت عليها الجن . وانما سميت ابار بابار بن أميم » ، طبقات ابن سعد (حـ ١ ، قسم ١ ص ٢٠) .

٢ البلدان (٣٩٢/٨) .

٣ البلدان (٣٩٢/٨ فما بعدها) ، القزويني ، عجائب المخلوقات (٤١/٢) ، « طبعة وستنفلد » ، المسعودي ، التنبيه (ص ١٨٤) ، صفة (١٥٤ ، ٢٢٣) .

٤ Sprenger Geogr., S.. 206.

٥ Enc., Vol., 4, P., 1077, Philby, The Heart of Arabia, Vol., 2, P., 353.

ولم يذهب اسم (وبار) من ذاكرة سكان العرب حتى هـذا اليوم . فهم يروون أن في الربع الخالي موضعاً منكوباً هو الآن خراب ، هو مكان (وبار) . وقد قاد بعض الأعراب (فلبي) الى موضع في الربع الخالي ، قال له عنه إنه مكان (وبار) المدينة التي غضب الله عليها ، فأنزل بها العقاب، وصارت خراباً . وقد تبين لـ (فلبي) أن ذلك الموضع هو فوهة بركان ، قـذف حمماً ، فبانت الأرض المحيطة به وكأنها خرائب تولدت من حريق[1] . وتحدث أعراب آخرون للسائح (برترام توماس) عن مكان آخر يقـع في جنوب شرقي هذا الموضع بمسافة (٢٠٠) ميل ، قالوا له إنه مكان (وبار) المدينة المفقودة المنكوبة كما عثر رجال شركة (أرامكو) على موضع في البادية وذلك في سنة ١٩٤٤ ؛ زعم لهم الأعراب انه مكان وبار، مما يدل على أن الأعراب يطلقون اسم وبار على مواضع عديدة تقع في البوادي . والبوادي أنسب مكان يليق في نظرهم بأن يكون موطن وبار[2] .

عبيل :

و (عبيل) مثل أميم لا نعرف من أمرهم غـير نتف ذكرها الأخباريون الذين زعموا انهم اخوان عاد بن عوص ، أو اخوان عوص بن إرم ، وانهم لحقوا بموضع (يثرب) حيث اختطوا يثرب . وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له (يثرب بن بائلة بن مهلهل بن عبيل)[3] . ثم ان قسمـاً من العماليق انحدروا الى يثرب ، فأخرجوا منها عبيلاً ، فنزلوا موضع (الجحفة) ، فأقبل سيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت (الجحفة)[4] .

وقد ورد في التوراة اسم ولد من أولاد (يقطان) ، هو (Obal) (عوبال)

---

١ Philby, The Empty Quarter, P., 165, R. H. Sanger, The Arabian Peninsula, P., 126, 132.

٢ Sanger, The Arabian Peninsula, P., 132.

٣ ابن خلدون (٢١/٢) ، « وعاد وعبيل ابنا عوص بن ارم بن سام بـن نـوح » ، طبقات ابـن سعد (حـ ١ ، قسم ١ ص ١٩) .

٤ ابـن سعد ، طبقات (حـ ١ قسم ١ ص ٢٠) ، البلدان (٦٢/٣) .

أو (Ebal)[1] . وهذا الاسم قريب من (عبيل) ، لذلك رأى بعض علماء التوراة أن من الممكن أن يكون (عبيل) هو (عوبال)[2] . ونجد في جغرافيا بطلميوس اسم موضع يقال له Avalitae على خليج يدعى بهذا الاسم (Avalites Sinus) وعليه مدينة تسمى (Avalites Emporium) ، وسكانها يعرفون باسم (Avalites) . وقد ورد هذا الاسم عند (بلينيوس) على صورة (Abalitae) و (Abalites) ، ويرى (فورستر) أن من المحتمل أن يكون هؤلاء هم (عوبال)[3] وقد يكون أبناء عوبال هم عبيل .

وذكر أن في اليمن مكاناً يقال له عبيل[4] ، وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف بـ (عبال)[5] . وهذان الاسمان قريبان من اسم عبيل . غير أني لا أريد أن أقول الآن شيئاً فيما يخص (عبيلا) ، فلا يجوز الحكم في مثل هذه الأمور لمجرد تشابه الأسماء ، وانما ذكرت ذلك للمناسبة العارضة وللتنبيه .

وأما عبد ضخم ، فكانت تسكن على قول الأخباريين الطائف ، وهلكوا فيمن هلك من الشعوب البائدة ، وكانوا أول من كتب بالخط العربي[6] . وذكر الطبري انهم حي من عبس الأول[7] .

ويذكر أهل الأخبار ان (أمية بن أبي الصلت) ذكر (بني عبد ضخم) في شعره ، اذ قال فيهم :

كما أفنى بني عبد بن ضخم ... فما يذكر لصاليها شهاب
بني بيض ورهط بني معاذ ... وفيهم عزة وهم غلاب[8]

---

١ اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول ، اية ٢٢ ، التكوين ، الاصحاح العاشر ، اية ٢٨ .

٢ Hastings, P., 201, Ency., Bibli., P., 2462, M. Gottfried Buchner's Biblische Real und Verbal Hand., S., 276

٣ Forster, Vol., I, P., 148, 149.

٤ Glaser, Skizze, 2, S., 426.

٥ Scott The High Yemen, P., 185.

٦ ابن خلدون (٢١/٢) ، « عبد ضخم بن ارم » .

٧ « وكان ساكني الطائف بنو عبد ضخم ، حي من عبس الاول » ، الطبري (٢٠٣/١) « دار المعارف » .

٨ الاكليل (٧٥/١) .

وقد ذكر الهمداني أن (ابن الكلبي) يرى أن (عبد ضخم) و (بيض)، وهما حيّان ، هما اللذان وضعا الكتاب العربي ، وذكر الهمداني أن الشاعر (حاجز الأزدي) ضمن هذا الرأي بقوله :

عبد بن ضخم اذا نسبتهم ... وبيض أهل العلوّ في النسب
ابتدعوا منطقاً لخطهم ... فبين الخط لهجة العرب[1]

جرهم الأولى :

وجرهم هؤلاء ، هم غير (جرهم) القحطانية على رأي النسابين والأخباريين، ولذلك يقولون لجرهم هذه (جرهم الأولى) ، ولجرهم القحطانية (جرهم الثانية) ، ويقولون عن الأولى إنهم من طبقة العرب البائدة ، وأنهم كانوا على عهد عاد وثمود والعمالقة[1] . ويظهر من روايات الأخباريين أنهم كانوا يقيمون بمكة ، ويرجعون أنسابهم الى (عابر) ، وأنهم أبيدوا : أبادهم القحطانيون[2] .

أما جرهم الثانية ، أي جرهم القحطانيين فينسبهم بعض أهل الأخبار الى (جرهم بن قحطان بن هود) وهم أصهار اسماعيل[3] .

وقد ورد اسم (جرهم) عند (اصطيفان البيزنطي) من الكتبة اليونان[4] .

العمالقة :

وحشر الأخباريون العمالقة (العماليق) في هذه الطبقة أيضاً ، فنسبوهم الى (عملیق بن لاوذ بن سام بن نوح)[5] . ولم تذكر التوراة أصلهم ونسبهم ،

---

١ الاكليل (١/٧٨) .
٢ Enc., Vol., I, P., 1066.
٣ ابن خلدون (٢/٣٠) ، صبح الاعشى (١/٣١٤) ، Enc., Vol., I, P., 1066.
٤ شمس العلوم (حـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٢٢) .
٥ Enc., Vol., I, P., 1066.
٦ الطبري (١/٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) ، « طبعة أوربة » .

وهي لا تشير الى أبناء (لود) أو (لاوذ) كما يقول له الأخباريون[1].

(وعمليق) جد العمالقة، هو شقيق طسم. ويذكرون أنهم كانوا أمماً كثيرة، تفرقت في البلاد، فكان منهم أهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر. ويعرف أهل عمان والبحرين بـ (جاسم)، وجاسم هم من نسل عمليق على زعم أهل الأخبار. وكان من العمالقة أهل المدينة، ومنهم (بنو هف) و (سعد ابن هزان) و (بنو مطر) و (بنو الأزرق). وكذلك سكان نجد، ومنهم بديل وراحل وغفار، وكذلك أهل تيماء[1].

وكان ملكهم (الأرقم)، وهو من العمالقة[2]. وهو من معاصري (موسى) على رواية الهمداني. وقد أرسل (موسى) عليه جنداً لمقاتلته ففتك بأتباعه أهل تيماء وببقية عمالقة الحجاز[3].

ويذكر بعض أهل الأخبار أن (العماليق) لحقت بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء، ثم انحدر بعضهم الى يثرب، فأخرجوا منها (عبيلاً)، وسكنوا في ديارهم، وذهبت (عبيل) الى موضع (الجُحْفَة)، فأقبل السيل فاجتحفهم، فذهب بهم، فسميت الجحفة[4]. وذكروا أن (موسى) أرسل جيشاً لحرب عماليق يثرب[5]، ولم نجد في التوراة ذكراً لمثل هذا الجيش، أو الحرب.

والعمالقة الذين نتحدث عنهم، هم عرب صُرحاء، من أقدم العرب زماناً، لسانهم اللسان المُضَري الذي هو لسان كل العرب البائدة على حد قول أهل الأخبار[6]. بل زعم بعضهم أن عملياً، وهو أبو العمالقة، أول من تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل، فكان يقال لهم ولجرهم (العرب العاربة)[8].

ويظهر من فحص هذا المروي في كتب الأخباريين عن العمالقة ونقده أنه مأخوذ من منابع يهودية، فقد ذكر العمالقة في التوراة، وقد كانوا اول شعب

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢/١١٢ فما بعدها)،
Hastings, P., 24, The Uni. Jew. Enc., Vol., I,, P., 218.
٢ الطبري (١/٢٠٣) « دار المعارف »
٣ الطبري (١/٢٠٣)
٤ الاكليل (١/٧٤ وما بعدها).
٥ الطبري (١/ ٢٠).
٦ Enc., Vol., I, P., 325.
٧ الطبري (١/٢٠٣ فما بعدها).
٨ الطبري (١/٢٠٧ فما بعدها).

صدم العبرانيين حينما خرجوا من مصر متجهين الى فلسطين[1] . وظلوا يحاربونهم، ويكيدونهم خسائر فادحة ، وأوقعوا الرعب في نفوسهم ، ولهذا ثار الحقد بينهم على العماليق . ويتجلى هذا الحقد في الآيات التي قالها النبي (صموئيل) لشاؤول (Saul) أول ملك ظهر عند العبرانيين ، قالها لهم باسم اسرائيل : « إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه اسرائيل . والآن فاسمع صوت كلام الرب . هكذا يقول رب الجنود . اني افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر . فالآن اذهب واضرب عماليق ، وحرموا كل ماله ، ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً »[2] . وهذا الحقد هو الذي جعلهم يخرجونهم من قائمة النسب التي تربطهم بالساميين .

وقد كانت منازل العمالقة من حدود مصر فطور سيناء الى فلسطين . وعدم ذكر العبرانيين لهم في جملة قبائل العرب لا يدل على أنهم لم يكونوا عرباً، فقد ذكرت أن العبرانيين لم يطلقوا لفظة (عرب) الا على الأعراب، أعراب البادية، ولا سيما بادية الشام[3] . ثم ان العمالقة من أقدم الشعوب التي اصطدم بها العبرانيون، وحملوا حقداً عليها، وهم عندهم وفي نظرهم أقدم من القحطانيين والإسماعليين .

حضورا :

وأورد أهل الأخبار قصصاً عن (حضورا) ، فذكروا أن (حضورا) كانوا يقيمون بالرس ، وكانوا يعبدون الأوثان ، وبعث اليهم منهم نبي منهم اسمه (شعيب بن ذي مهرع) ، فكذبوه ، وهلكوا[4] .

وهنالك عدة مواضع يقال لها (الرس) منها موضع باليمامة ، وموضع كان فيه ديار نفر من ثمود[5] .

---

١ Musil, Hegaz, P., 460, The Uni. Jew. Enc., Vol., I, P., 218.

٢ صموئيل الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، الاية ١ فما بعدها .

٣ Hastings, A. Dictionary of the Bible Vol., I, P., 77.

٤ ابن خلدون (٢٠/٢) ، نهاية الارب (٨٦/١٣ فما بعدها) ، « قال كعب : ان اصحاب الرس كانوا بحضرموت » ، نهاية الارب (٨٨/١٣) .

٥ البلدان (٢٥٠/٤) .

وورد في القرآن الكريم (أصحاب الرسّ)[1] ، مع عاد وثمود ، وذهب المفسرون الى أنهم كانوا جماعة (حنظلة) ، وهو نبي ، فكفروا به ورسّوه في البئر[2] ، الى غير ذلك من الأقوال .

ويظهر من القرآن الكريم أن (أصحاب الرس) كانوا مثل جماعة عاد وثمود في الطبقة ، أي في زمانهم ، وأنهم هلكوا أيضاً . وقد ذكر بعض أهل الأخبار أن نبي (أصحاب الرس) هو (خالد بن سنان) ، وقد ذكروا أن الرسول ذكره ، فقال فيه : « ذاك نبي ضيّعة قومه »[3] .

وذكر (الهمداني) أن (حنظلة بن صفوان) كان نبياً في اليمن ، وقد أرسل الى سبأ ، وكان من (الأقيون) ، وهم بطن دخل في (حمير) ، وذكر أنه وجدت عند قبره هذه الكتابة : « أنا حنظلة بن صفوان . أنا رسول الله . بعثني الله الى حمير وهمدان والعريب من أهل اليمن ، فكذبوني وقتلوني » . وأنه أنذر قومه (سبأ) برسالته فكذبوه ، فلما كذبوه،أرسل الله عليهم سيل العرم[4] .

وذكر (الهمداني) أيضاً نقلاً عن (ابن هشام) أن (حنظلة بن صفوان ابن الأقيون) ، هو ، نبي الرسّ ، والرس بناحية صيهد ، وهي بلدة منحرفة ما بين بيحان ومأرب والجوف،فنجران فالعقيق فالدهناء ، فراجعاً الى حضرموت. وذكر أيضاً أن الرس ، بمعنى البئر القليلة الماء ، وأن أهل الرس قبائل من نسل أسلم ويامن أبو زرع ورعويل وقدمان ، وهم من نسل قحطان . وقد كذبوا نبيهم (حنظلة) وقتلوه وطرحوه في بئر رس ماؤها[5] .

وروى أهل الأخبار أن (بختنصر) (نبوخذ نصر) غزا أهل (حضور) (حضوراء) وأعمل فيهم السيف وأجلى خلقاً منهم إلى أماكن أخرى ، لأنهم كفروا وجحدوا نبوة نبي منهم أرسله الله اليهم ، وهو (شعيب بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدم بن حضور) ، ولم يصدقوه ، وكانوا أصحاب بطش وشدة

---

١ « وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا » ، الفرقان ، ٢٥ ، اية ٣٨ ، « كذبت قبلهم قوم نوح ، واصحاب الرس وثمود » ، ق ، ٥٠ ، اية ١٢ .

٢ البلدان (٢٥٠/٤) ، قصص الانبياء (١٤١) ، حياة الحيوان ، للدميري ، مادة عنقاء نهاية الارب (١٣/ ٨) ، Enc., Vol., I, P., 479.

٣ الاصابة (٤٦٨/١) .

٤ الاكليل (١٢٠/١ وما بعدها) .

٥ الاكليل (١٢١/١ وما بعدها) .

وغلظة . فلما قتلوه،أوحى الله الى نبي في عصره هو (برخيا بن أخيا بن رزنائيل ابن شالتـــان) ، وكان من سبط (يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل)،أن يأتي (بختنصر) ، فيأمره بغزو (العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب) ، ويطـــأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتلهم ، ويستبيح أموالهم . فأقبل (برخيا) من نجران ، حتى قـــدم على (بختنصر) ، وذلك في زمان (معد بن عدنان) ، فوثب (بختنصر) على من كان في بـلاده من العرب ، وجمع مَنْ ظفر به منهم ، فبنى لهم حيراً على النجف وحصنـــه ، ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم سار في بلاد العرب فالتقى بعـدنان بذات عرق ، فهزم (بختنصر) عدنان ، وسار الى (حضور) ، فانهزم الناس وفروا فرقتين : فرقة أخذت الى (ريسوب) وعليهم (عك) ، وفرقة قصدت وبار. أما الذين بقوا في (حضور) ، وحـاربوا (بختنصر) فقد احتصدتهم السيوف . ثم رجع ملك بابل بما جمع من السبايا ، فألقاهم بالأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النبط ، ومات عدنان . فلما مات (بختنصر) ، خرج (معدّ بن عدنان) حتى أتى مكة ، ثم ذهب الى (ريسوب) فاستخرج أهلها ، وسأل عمـن بقي من ولد (الحارث بن مضاض الجرهمي) وهو الذي قاتل دوس العتق ، فأفنى أكثر جرهم على يديه — فقيل : بقي (جرشم بن جلهمة) ، فتزوج معـــد ابنته (معانة) ، فولدت له (نزاراً)[1] .

وأهـــل حضور الذين قتلوا نبيهم ، وقتلهم (بختنصر) هم شعب من أهل اليمن على رأي الأخباريين ، كانوا يقيمون الحضور أو (حضوراء) . وفي اليمن موضع يسمى (حضور) ، ينسبه أصحاب الأخبار الى (حضور بـن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زيد بن سدد بن سبأ)[2] ، وذكروا أنه المكـــان الذي قصده (بختنصر) ، فقتل أهله[3] . وعلى هذا المكان مسجد يزار حتى اليوم ، يقال له مسجد شعيب نبي أصحاب الرس[4] . وهو جبل من جبال اليمـن المقدسة ،

---

١ الطبري(٢٩١/١ وما بعدها) ، (٥٥٩/١) « دار المعارف » .
٢ « حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعـة » ، البكري ، معجـــم (٤٥٦/٢) « طبعة السقا » ، اللسان (٢٧٨/٥) .
٣ البلدان (٢٩٦/٣) .
٤ الاكليل (١٢١/٨) « طبعة نبيه » ، Enc., Vol., 2, P., 210.

قال الهمداني : (وأما الجبال المقدسة عند أهل اليمن ، فجبل حضور وصنّين ورأس بيت فائش من رأس جبل تخلى ورأس هنوم ورأس تعكر ورأس صبر . وفي رؤوس هذه الجبال مساجد مباركة مأثورة)[1] .

وأرى أن قداسة هذه الجبال وردت اليها من الأيام التي سبقت الإسلام، من أيام الوثنية ، وأن المساجد التي أنشئت في رؤوسها ، إنما أنشئت فوق معابد قديمة ، لعبادة الأصنام ، وذلك كما حدث في أماكن أخرى من جزيرة العرب حيث اكتسبت بعض المعابد الوثنية القديمة قدسية خاصة . فلما جاء الإسلام ، ألبست ثوباً إسلامياً ، فبقيت حية ، وتحولت بمرور الزمن الى مزارات ومساجد تقام فيها الصلوات .

وقد اعتمد رواة خبر غزو (بختنصر) لأهل (حضور) على ما جاء عن (ابن الكلبي) و (ابن اسحاق) ونفر آخر ممن عرفوا بروايتهم هذا النوع من الروايات التي تعرف من معين الإسرائيليات . وما بنا حاجة أبداً الى البحث في أسماء رواته لمعرفة صلته بالتوراة . فالمسألة جد واضحة . خذ التوراة واقرأ ما جاء في أسفار (أرميا) ونبوءته، تجد القصة مكتوبة في السفر التاسع والأربعين: (عن قيدار وعن ممالك حاصور التي ضربها نبوخذ راصر[2] ملك بابل . هكذا قال الرب : قوموا اصعدوا الى قيدار ، اخربوا بني المشرق . يأخذون خيامهم وغنمهم ، ويأخذون لأنفسهم شققهم وكل آنيتهم وجمالهم ، وينادون اليهم الخوف من كل جانب .

« اهربوا ، انهزموا جداً ، تعمقوا في السكن يا سكان حاصور، يقول الرب، لأنّ نبوخذ راصر ملك بابل قد أشار عليكم مشورة ، وفكر عليكم فكراً . قوموا الى أمة مطمئنة ساكنة آمنة . يقول الرب لا مصاريع ولا عوارض لها . تسكن وحدها وتكون جمالهم نهباً ، وكثرة ماشيتهم غنيمة ، وأذرى لكل ريح مقصوص الشعر مستديراً ، وآتي بهلاكهم من كل جهاته يقول الرب . وتكون حاصور مسكن بنات آوى، إلى الأبد، لا يسكن هناك انسان، ولا يتغرب فيها ابن آدم[3] ».

---

١ الاكليل (١٢١/٨) « طبعة نبيه » .

٢ « نبوخذ راصر » «بختنصر » (نبوخذ نصر) .

٣ ارميا ، اصحاح ٤٩ ، اية ٢٨ وما بعدها .

أما النبي (برخيا) الذي زعم الأخباريون أنه هو الذي أشار على (بختنصر) بغـــزو (حضور) ، فهـــو « باروخ بن نيريا (نريا) بن محسيا » شقيق (سرايا) (Seraiah)[1] . وقد كان كاتباً ، محباً مخلصاً للنبي (أرميا)[2] ، وكان يكتب لأرميا ، وهو الذي كلفه النبي (أرميا) بالذهاب الى (بختنصر) حاملاً رسالة الى الملك[3] . وهي الرسالة المدونة في أسفار (أرميا). وقد ذهب الى بابل وقابل الملك ، ثم عاد الى القدس حيث هاجم (بختنصر) القدس واستولى عليها بتحريض من هذا النبي نبيّ العبرانيين !

ترى أنّ الأخباريين أخذوا قصة غزو (بختنصر) لحاصور ، القصة الواردة في أسفار (أرميا) ، وجعلوها غزواً لشعب (حضور) في اليمن،وهو موضع بعيد لا يعقل وصول (بختنصر) اليه ، وأضافوا اليه شيئـــاً من الزخارف التي وضعها (ابن الكلبي) أو غيره ، كإقحام اسم عدنان ومعدّ بن عدنان واسم نبي عربـي جنوبـي في القصة ، ولم يكفهم ذلك ، فجعلوا (برخيا) من أهل (نجران) ، وجعلوه يقطع المسافة ما بين نجران وبابل ، ليكلف (بختنصر) غزو العرب . وصيروا (حاصور) (حصور) الواردة في (أرميا) (حضور) و (حضوراء) ، وجعلوه في اليمـن ، ولم ينسوا البحث عن سبب ، فجعلوه اعتداء أهل (حضور) على نبيهم .

أما (حاصور) التوراة ، فإنها أرضون تقع في (العربية) ، كانت فيها ممالك صغيرة ، أو مشيخات ، كما يفهم ذلك من عبارة (أرميا) « وعن ممالك حاصور »[4] . وكانت تتاخم (قيدار) ولعلها كانت في البادية[5] . ويرى علماء التوراة أن سكانها كانوا من أهل المدر ، ويقيمون في بيوت ثابتة ، وقد أطلقت كلمة (حاصور) (Hazor) عليهم تمييزاً لهم عن أهـــل الوبر ، وكانت ديارهم في جنوب فلسطين أو شرقها[6] .

---

١ ارميا ، اصحاح ٢٥ ، الاية ٥٩ .
٢ ارميا ، اصحاح ٣٢ ، الاية ١٢ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤/١) ، وقد سجن مع ارميا في القدس وكانا يعارضان الملك « يهو ياقيم » « ٦٠٤ ق.م » ، Hastings, P., 85, Enc., Bibl., P., 491.
٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤/١) .
٤ ارميا ، اصحاح ٤٩ ، الاية ٢٨ .
٥ Hastings, P., 334.
٦ Enc., Bibl., P., 1978.

وتعني كلمة (حاصور) (Hazor) (Hasor) وجمعها (Hazerim) (Haserim) ما تعنيه لفظة (حيرتا) (Herta) في الإرمية و (الحيرة) في العربية ، من معنى (محاط) أي (محصور) (محاصر)، بمعنى الحصن أو الأمكنة المحاطة المحصورة أو (المضرب) و (الحمى) . وقد كان مشايخهم يقيمون في أسياف البادية في مخيمات ومضارب مع أتباعهم ، فهي في معنى (حيرتا) عند بني إدم و (Paremboles) عند اليونان[1] . وكانوا يرعـون الماشية من ماعز وأغنام وجمال في مناطقهم التي اعتادوا الإقامة بها ، ويظهر أنهم تعرضوا لجيوش (بختنصر) ، أو أنهم لم يساعدوه في حملتـه على فلسطين ، فاغتاظ منهم ، وجرد عليهم حملة،وكان من عادتهم الالتجاء الى الكهوف والمغاور حين مهاجمة عدو لهم ، حيث يذهبون الى مناطق بعيـدة يصعب عـلى الجيوش مطاردتهم ، فيتخذون منها مواطن آمنة ويعيشون فيها ما دام الخطر[2] .

ولم يكن للأخباريين علم دقيق بما يرد في التوراة من أمور ، فـلم يفطنوا أن من غير الممكن أن يكون أهل (حاصور) من أهـل اليمن ، لأن ذكر التوراة لهم مع (قيدار) يجعل مواضعهم في شمال جزيرة العرب ، ثم إن اليمن بعيدة جداً عن (بختنصر) ، ولا يعقل أن يكون في امكان جيوشه الوصول بسهولة الى هناك . ثم إن الكتب اليهودية تصور (حاصور) في مكان في العربية الشمالية في جوار أرض (قيدار) ، ولم يكن لها علم واسع عن اليمن ، كما أن (باروخ) من القدس ولم يكن من أهل نجران .

ويظهر أن حرباً قديمة ماحقة ، أو كارثة طبيعية مثل زلزال أو هياج حرة، وقعت في (حضور) اليمن ، سبب تلفها وانزال خسائر كبيرة بها وبأهلها ، فترك ذلك أثراً عميقاً في ذاكرة الناس ، رواه كابر عن كابر،فوجد الأخباريون الذين وقفوا على أخبار التوراة ، أو كانوا يجالسون أهل الكتاب ويسائلونهم ، شبهاً بين (حاصور) و (حضور) ، وظنوا جهلاً بالطبع بما ورد في(أرميا) عن (حاصور) ، أن (حاصور) التوراة (حضور) اليمن ، ثم أضافوا الى ذلك ما شاءوا على طريقتهم في أمثال هذه المناسبات .

---

[1] Musil, Deserta, P., 490.

[2] Musil, Deserta, P., 490, Montgomery, Arabia and the Bible, P., 64.

هلاك العرب البائدة :

هذا ويلاحظ أن هلاك العرب البائدة كان بسبب كوارث طبيعية نزلت بهم مثل انحباس المطر جملة سنين مما يؤدي الى هلاك الحيوان وجوع الإنسان ، واضطراره الى ترك المكان والارتحال عنه الى موضع آخر ، قد يجد فيه زرعاً وماءً وقوماً يسمحون له بالنزول معهم كرهاً لقوته ولتغلبه عليهـــم ، أو صلحاً بأن يسمح الأقدمون له بالنزول في جوارهم لاتساع الأرض وللفائدة المرجوة للطرفين . وقد يتفرق ويتشتت بين القبائل ، فيندمج فيهـــا بمرور الزمن ويلتحق بها في النسب والعصبية ، فيكون نسبه النسب الجديد . وبذلك ينطمر ذكر القبيلة القديم والأصل الذي كان منه . وقد لا يبقى منه غير الذكريات ، كالذي رأيناه من أمر القبائل البائدة .

وقد تكون الكارثة هيجان حرّات وهبوب عواصف رملية شديدة عاتية تستمر أياماً واهتزازات أرضية في الأرضين غير المستقرة ، مما يلحق الأذى بالنـاس . ومن هنا نجد ذكر هذه الكوارث في القرآن الكريم وفي الأخبار الواردة عن هلاك القبائل المذكورة فيه ، أو التي لم ترد فيه ، وانما يذكر أسماءها أهل الأخبار .

هذا وقد ألّف بعض أهل الأخبار كتباً في بعض العرب البائدة ومن هؤلاء (عُبيد بن شريةَ الجُرهميُّ) ، و (ابن الكلبي) ، فقد ذكر ان لهذا مؤلفاً دعاه (كتاب عاد الأولى والآخرة) و (كتاب تفرق عاد)[1] ، ومنهم (أبو البختري) و(وهب بن وهب بن كثير) فله (كتاب طسم وجديس)[2] وغير ذلك . والغالب على هذه المؤلفات كما يظهر من الاقتباسات منها والمبثوثة في الكتب الباقية ، انها ذات طابع أسطوري .

---

١ الفهرست (ص ١٤٧) .
٢ الفهرست (ص ١٥٢) .